مذكرات مجاهد سابق ووزير حالي

أكرم إبراهيم البكري

رواية

أكرم إبراهيم البكري

مذكرات مجاهد سابق

ووزير حالي

رواية

مذكرات مجاهد سابق ووزير حالي

الكتب: أكرم إبراهيم البكري

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: **إنعام الحاج بابكر**

تنويه: -

الأحداث التالية من وحي خيال الكاتب أي تطابق في الاسماء أو الأحداث فهو من قبيل الصدفة فقط .

الإهداء

إهداء أول

إلى روح الشهيد عبد العظيم أبوبكر عمر
وكل شهداء الوطن

إهداء ثانٍ

رانيا عبدالله

أنتم النجم الساري في سماء أفقي

الفصل الأول

الذكريات: مذكرة العشرة

الدبابين أسود الغـــابة جنود العــز ديل شمــوخ ومهــابة

كان قلتو سلام بنرفع السبابة وإن درتوا الموت تعالوا جوة الغابة

يوم دخلنا الميس ياما شفتو حرابة عندنا الرشاش زي كانو ربابة

ما بنخون الجار إلا هو اليبدابا أنحنا في السودان حقارة ما بنرضابا

مابنخاف من زول نحن قوة صلابة عندنا الدباب يفجر الدبابة.

من جهاز الكمبيوتر على المكتب يخرج صوت الفرقة الغنائية بتلك الكلمات، يسرح الوزير بعيداً، كانت تلك الكلمات ذات وقعٍ ومعنًى، والآن القضية أصبحت بلا وعاء وتبدلت الوجوه وظهرت دعاوى الخروج، يُخرج الوزير زفرة حارة من جوفة ويغمض عينيه في ألم ويرجع بذكرياته إلى تلك الأيام الأولى عندما كان محرراً بجريدة المسيرة ، وهي جريدة تصدرها الدولة وقتذاك من المركز القومي للإنتاج الإعلامي ، يتذكر حوش المركز والمشروع الذي كان والأمل لبناء دولة الرسالة، هكذا كانت الأحلام، يستعيد واقعه ويخفض درجة حرارة تكييف مكتبة بالريموت كونترول، ينظر إلى سبابته التي فقدها في معركة الميل أربعين، يحدث نفسه: الآن علم الجميع وبمن فيهم هو بأن ما كانوا يحاربون من أجله لم يكن هو الخيار الصحيح، ثلاثون سنة قدمت فيها منظومته في العشر سنوات الأولى أجساد الرجال ودماءهم قرابين لكراسي الحكم والآن ماذا حدث؟ لقد تربع عليها أصحاب الألوان الرمادية.

طرقات على باب المكتب ....

- يرد بصوت مبحوح: اتفضل

تشرق شمس الوطن ضباباً ومن على باب المكتب تدخل

هيفاء السكرتيرة، شعرها منسدل على كتفها ولبسها يحكي المقولة الشعبية (الشرعية طرشقت)، تتسارع درجة حرارة المكتب في الانخفاض، تضع بعض الأوراق على مكتب المجاهد القديم للتوقيع، وللمرة الثانية ينظر الوزير إلى سبابته المفقودة، لقد فقد هذا الجزء في تلك المعركة الحدث، فكان أن حصل على وزارة وسكرتيرة وزوجتين، هنالك من فقدوا أرواحهم فهل وجدوا ما توقعوا من حور عين؟!

ما زالت الفرقة الجهادية التي اشتهرت بداية المشروع يخرج صوتها من الكمبيوتر وفي مقطع:

حوريتي الحسناء حسناً يفوق خيالي

أنا قد أجئ معفراً ممزق الأوصالِ

رضوان يسأل من أنا والزمرة النزالِ

فقولي عني منافحاً لا ترهبين نزال

ينظر إلى هيفاء وابتسامتها المثيرة، هي الحور العين التي ذكرت، يرجع سريعاً إلى كلمات النشيد الجهادي اعتقد أنه لعلي عبد الفتاح، يغمغم مع نفسه ترى هل وجد علي مثل هذا الجمال هناك؟ ينظر إليها وهي تهمس إليه شفتاها مثل رمان ناضج صدرها متكور وبارز صوتها يصل إليه همساً:

- خلاص أنا اتناقشت مع ناس البيت وأبوي وافق وقال الراجل أساساً في حبله أربعة، وأنا ما حالقى أفضل منك.

-يتمعن في تفاصيل ذلك الجسد الوقح، يُومئ برأسه إيجاباً ويرسم ابتسامة ذات مغزى وصوته يصل إلى نفسه فقط: «ما

حتلقي زيي ولا زي القروش العندي»، تخرج هي سريعاً قبل أن تقع فريسة تلك النظرات الشبقة.

النشيد الجهادي مازال في غَيه مستمراً ينظر إلى صورته وهو معصوب الرأس بقطعة حمراء ومعه علي عبد الفتاح وفضل المرجى وأبو دجانة، الصورة تربعت على كامل الحائط الشمالي من المكتب الوثير، يدلف سريعاً داخل جَب ذكرياته مرة أخرى:

«نعم كنت قريباً من الحراك والذي يمكن أن نسميه الآن صراعاً بعد أن زال الضباب من أمام الأعين، يومها أدركنا بأن أمراً جللاً على وشك الحدوث، وأيقنّا أن المكاسب التي كانت للتنظيم لم تكن إلا سراباً وتهاوى المشروع الحلم وانهارت الشعارات التي ضحى نفر ليس بالقليل من أجلها.

المكان الخرطوم صلاة العصر بمسجد السيدة السنهوري عقب الصلاة مباشرة متوجهين إلى فيلا الشيخ علي، عند خروجنا من المسجد كانت هنالك مجموعة من المجاهدين تستقل عربه نيسان باترول، مضوا سريعاً في اتجاه المنشية، صمت تام وحالة من الذهول تسيطر على الموقف، توجهنا بدورنا إلى دار شيخ علي وفي داخل الداركان هنالك مجموعة من شباب التنظيم، مكث القوم في دار الشيخ التي لا تشبه دار أحد من المجاهدين، ومكثنا معهم نستوضح الأمر وعلى بعد كيلومترات كانت هنالك جلسة في صالون شيخ الترابي، كان معلوماً لنا بأن هنالك خلاف وكنت على يقين بأن القادم كبير، وبحكم علاقة زوجتي الأولى بأسرة الشيخ علي كنت أتردد دائماً على منزله، لذلك كنت أقرب إلى مركز القرار من حبل الوريد. اليوم الثامن والعشرون من شعبان للعام ١٤١٩

دلفنا إلى الصالون الكبير جلسنا على تلك المقاعد الوثيرة مبرمج الهواء يعمل جاهداً على تغيير درجات الحرارة داخل ذلك المكان، لهيب شمس الخرطوم وتتابع الأحداث يُنسينا حرارة صيف العبور ودماء الميل أربعين، همهمات الشهداء ترفرف حولنا وصية الشهيد تدك قناديل العرش، (صفوان مصطفي) لا أدري لماذا هذا الاسم بالذات هو من جال بخاطري الآن، لا أدري لعلها الوصية التي كتبها لوالدته مع قرب أجله أو لعل الأمر يكمن في عدم معرفة والده ووالدته بذهابه إلى حرب الجنوب مع متحرك العمليات، عاصرت صفوان في نفس المتحرك وأنا من قام بتوصيل الوصية إلى والده في نهاية العام ٩٨ ، حافظت على وصيته خوف تدخل أطرف اخرى والعبث بها، فقد كان مشهوراً لدى المجاهدين بأن أي وصية تصل إلى الأستاذ (اسحق أحمد فضل الله) فإن هنالك تعديلاَ يحدث لها، مع توتر الانتظار وهمس الشباب تعتلي الذاكرة أحداث لا تُنكر، وحادثة استشهاد عوض الله أحمد ترهق التاريخ، وقتها كانت كتيبة صغيرة قد وقعت تحت كمين بالقرب من كاجوكاجي لم نُشاهد قتلى، استسلمت الكتيبة بقائدها عبدالمنعم الطاهر تفنن الشيخ الكبير و قال لأهل الشهيد وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة إنه يشم رائحة المسك في القبر هناك و أشار بيده مع تمايل واضح اشتهر به واصل قائلاً: «إن الشهيد يزف الآن في الجنة إلى الحور هناك في السماااء إني اراه»

تتعالى التكبيرات مصحوبة بزغاريد النساء، أم الشهيد في حالة ذهول تام تنظر إلى القوم فقط فهو الذكر الوحيد وسط نصف دستة من النساء و ليس الذكر كالأنثى، أخوات الشهيد يطلقن الزغاريد بهستيريا، والد الشهيد يتململ داخل قبرة ويصل

صدى كلماته إلى أذن زوجته، لم يأتِ إلى هنا بعد، لم يقبر اسمه ليس ضمن قائمة عزرائيل، وقد صدق فبعد سنوات معدودة جاء الشهيد برجليه الى أهله واختفت رائحة المسك وتفجرت لأول مرة دموع والدته وقال إنه كان أسيراً

خيم صمت رهيب على المجلس صورة العميل ياسر عرمان تظهر باهتة ساخرة من الآتي، كلمات المتمرد جون قرنق تدك الآذان وينخر صداها مشروع كامل، أحد المجاهدين يحمل إعاقة واضحة على رجله اليسرى يرتل بصوت أقرب إلى النهيق سورة المعراج: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ......»

وكأن الآيات تتحدث عن حالنا اليوم والعذاب الذي كثيراً ما تعالينا عليه واقع منذ أن اعتلينا أمر هذا البلد، وكل تلك السنين ونحن نصف الآخرين بالعمالة والارتزاق وما كنا ندري بأن العمالة تكمن في برنامجنا الذي تهاوى، ينظر إلى الفراغ في صالون شيخ علي الوثير، مكيف الهواء يبعث حمماً بركانية داخل الصالة، كنا حوالي سبعة دبابين ممن شاركوا في موقعة الميل أربعين، يدخل علينا سيد الخطيب وعلى يده اليسرى سيجارة مارلبورو ينفث دخانها فيرسم لفظ الجلالة، الإسلاميون يذكرون الله حتى في معاصيهم، يقف سيد الخطيب ويتبادل همس الحديث مع شيخ علي، نعم إنها هي نفس الكلمات التي سمعتها في مركز الدراسات الاستراتيجية يوم الجمعة المشهود قبل حوالي العام والنصف من الآن، فقد كان المحبوب عبدالسلام يشير إليّ ويهمس إلى دكتور بهاء الدين حنفي، إذن فإن الأمر قد وصل إلى نهايته، الآن هو يعلم جيدا بحكم موقعة التنظيمي بأن هنالك خلافاً قديماً قدم التاريخ ما

بين شيخ حسن و دكتور بهاء الدين حنفي، لم يكمل تفكيره قطع عليه سيد الخطيب حبل أفكاره بأن مد إليه مجموعة من الأوراق، كنت أصغر السبعة في العمر إلا أنني كنت أكبرهم مكانة تنظيمية ليس لي شيء سوى أنني أكثر دهاءً، هكذا تم وصفي أيام الجامعة، درست الهندسة وتخرجت في جامعه الخرطوم التي مكثت فيها حوالي الثمانية سنوات عاصرت علي عبدالفتاح ومصعب عثمان ومجدي الكلس والنيل وغيرهم، عرفت التيار الإسلامي عقب أحداث جامعة الخرطوم بمقتل أحد كوادر اليسار يدعى إن لم تخني الذاكرة بشير الطيب، في ذلك الوقت كنت بالثانوي وبحكم توجه أخي الأكبر الإسلامي كنت متعاطفاً جداً مع التيار، تم جلبنا من ثانويات الخرطوم إلى داخل حرم الجامعة لتأديب الشيوعيين، الآن أقف أمام تلك القيادات مباشرة بعد أن كنت اسمع بها فقط، يلحق دكتور بهاء الدين حنفي بعلي وسيد الخطيب يجلس ثلاثتهم أمامنا مباشرة، مازال سيد الخطيب ينفث دخان سيجارته يقلب بعض الأوراق بين يديه بتوتر، تنطلق نغمة تلفون المحمول بيد شيخ علي يخاطب شخصاً باسمه، يردد اسم المحبوب عبدالسلام، ينصت المجاهدون الستة وينظرون في توتر بالغ، النيل ينظر ببلاهة إلى بهاء الدين، أعتقد أن الأمر مرتبط بما كان في مركز الدراسات الاستراتيجية، دكتور بهاء الدين حنفي يشعل المشهد الآن صورته تتضخم، يااااربي أعتقد أنه مهندس اللقاء، هو من جمع المحبوب عبد السلام وسيد الخطيب خلال الشهور الماضية في المركز ومن الواضح أن الخلاف القديم بين حنفي والترابي يتجدد، مازال شيخ علي يرد على تلفونه المحمول لحظات ويغلق الخط ينظر إلينا ثم يبتدر قائلاً:

الحمدلله حمدا كثيرا.....»

يخرج الوزير من ذكرياته تلك على صوت هيفاء التي تقف أمامه بكامل أنوثتها، تمد إليه ملفاً أخر للتوقيع، تضع الملف وتنثني للناحية الأخرى لأخذ الأوراق السابقة، تظهر مؤخرتها من غير سوء، فتحة الخطوة على الاسكيرت تبين تفاصيل فخدها الناصع البياض، يسرح الوزير في تفاصيل هذا الجسد القاتل، يقف يتقدم نحوها تنظر إليه في خجل، يتقدم نحوها فيتحول الخجل إلى خوف، يقترب أكثريميل عليها، رائحة البارود تزكم أنفه تكبيرات المجاهدين تصم الآذان أصوات الرصاص والهاون تدك المكتب، هي الآن العدو، تمتد يداه يتناولها إلى حضنه، تستسلم هيفاء للأسر ترتجف تحاول أن تتمانع تخاف غضب الوزير، تنظر إلى وجهه غرة الصلاة الذقن المهذب رائحه العطر الفخم، يميل براسه عليها يضع شفتيه على شفتيها تتأوه بحق، الوزير الشبق يراجع تفاصيل جسدها بيديه، تقف يده على مؤخرتها، تذوب هيفاء مثل الوطن الذي ذهب، الوزيريصل إلى مبتغاة .... معركة تحرير كبويتا صيحات الدبابين فتحنا كبويتا ...... فتحنا كبويتا...... والمجاهد السابق يتصبب عرقا. هيفاء (كبويتا مدينة الظلام النجسة تعلن الاستسلام) وينسحب المتمردون خارج الحدود، يمد الوزير يده نحو باب المكتب ويغلق الحدود، الآن لابد من تمشيط المدينة، هيفاء تسقط على الأريكة خلفها ينسدل الستار وتخرج المدينة مفاتنها، الصورة التي على الحائط الأيمن تراقب مشهد التحرير، فضل المرجى جاحظ العينين من هول المعركة، أبو دجانة طباخ قتل بالصدفة فسمي شهيداً، والوزيريتخلص من كل الدنس في كامل هيئته الأولى عند ولوجه البسيطة، مدافع المقدمة

تصوب إلى تلك المنطقة هيفاء المدينة المستسلمة يتم فتحها الآن، أصابع الوزير تقبض على صدر المعركة تأوهات الخوارج تكبيرات علي عبدالفتاح وهو يصيح منادياً بأحد قصائده، دماء العذرية تنهال على مفرش المكتب، إنهم المتمردون دم نجس، التحم الجسدان قبلات حارة والمشروع الحضاري في صياغته للوطن، صوت شيخ علي في صالونه يوم المفاصلة يُرتل ما خطه يراع بهاء الدين والمحبوب والخطيب:

«والكلام دا متفقين عليه نحن حوالي عشرة من القيادات في التنظيم «

المجاهد صاحب الصوت الأجش الذي كان يقرأ سورة المعراج يقول بجزع:

- «بس دا يعتبر انقلاب!!!!»

يرمقه بهاء الدين باستحقار ويواصل الشيخ وصوت تأوهات هيفاء تحت ضغط الوزير الذي انغرس مدفعه في باطن المدينة، يطلق قذيفة بين الحين والحين ذهاباً وإياباً على المتمردين، يزداد الضغط من قبل الوزير وصرخات هيفاء كصيحات المتمردين من قوات الحركة الشعبية الذين تم اصطيادهم في كمين محكم، صدى شيخ علي يعيد في تداخل مع ذهن الوزير، الموقعين هم د. إبراهيم أحمد عمر، ويضيف مع تداخل الواقع على أرضية المكتب المدينة تحت ثقل جسد الوزير، تتحرر هي الآن تعلن التوبة وتغوص في لذة الفاتحين تحت راية الإسلام، رعشة اللذة تكون مع نطق اسم دكتور بهاء الدين حنفي والوزير مع آخر انفعالاته، يأخذ جسد هيفاء إلى أعلى ويضع شفتيه عليها ويغوص مع بقية

اسماء الموقعين على مذكرة الانقلاب، ويمر شريط أمام عينيه المغمضتين من النشوة و اللذة و أرجل المدينة المفتوحة تحتوي ظهر الوزير وتضغط عليه، وتأوهات الحرام تأتي في تلبية ......لبيك سلطان المتعة لبيك .....إن الشوق والهيام لك.... لبيك ... ومع رعشة وانتفاضة هيفاء تتقلص عضلات الوزير استعداداً لنهاية المطاف، وتدوي صرخة عالية في أذنه لا لدنيا قد عملنا... ويهتز الجسد بين رجليه نحن للدين فداء .... فتصرخ هيفاء. يااالهي .... فليعد للدين مجده.... فيغرس مجد الدين عميقاً داخل جسدها .... أو ترق منا الدماء فينزل سائل أبيض لزج مسهلاً استقرار الدين في قلب الأمة.... أو ترق كل الدماء فتراق اسماء الموقعين على المذكرة بلون أحمر أمام عينيه المغمضتين من اللذة / نافع علي نافع / عثمان خالد مضوي/ غازي صلاح الدين/ أحمد علي الامام/ حامد تورين/ بكري حسن صالح ومع الاسم الأخير يخرج صوت هيفاء: «كفاااااية كفاية (وكفاية حركة انطلقت لنهاية حكم الشمولية ولم تصل) ح اموت»، والوزير يفض الخاتمة والتي ترفع عنها من سدة الصخرة طريقه في ذلك الأثر فلم يتق الله، فانفجر الواقع بانقلاب معلن على العراب، وفي الرابع من رمضان يكتشف الوزير أن هيفاء حامل منذ العام الذي رفعت فيه المصاحف على الرماح، فيسارع بها إلى إجهاض المشروع الكاذب لبيان المشير، و الذي تصدع على أثره الوطن بانتحار هيفاء الجنوب المبتور.

الفصل الثاني:

الحركة الطلابية... وطن عز الحريق

مازالت سماء الخرطوم لها نفس اللون الشاحب، وشمس الخرطوم لها نفس اللهيب الحارق مع نيران الأحداث المتلاحقة منذ العام تسعة وثمانين للميلاد، حركة السير في الشارع العام تبعث الملل، نفس الوجوه المرهقة تتجول في الطرقات بلا هدف، وهنالك على مكتب الوزير تتحاشى هيفاء الدخول مرة اخرى بعد انتهاء معركة الإثم والخذلان المبكر للوطن.

طرقات على باب المكتب ترجع الوزير الشاب إلى الواقع من فيلا شيخ علي، أحداث مذكرة الانقلاب والتي اصطلح على تسميتها بالعشرة، ينتفض المجاهد السابق فزعاً يخرج صوته منكسراً:

- اتفضل

يأخذ مقبض الباب في الانحناء، يفتح على مهل مثل مغارة، وتكون الصدفة الغريبة يطل وجه فيصل حسن عمر بابتسامة عريضة ووجه مكتظ بكثير من التفاصيل المريبة يغمغم الوزير في نفسه.

- سبحان الله.... !!!!.

ويواصل مرتبكاً:

- تعرف يا دكتور فيصل الليلة كنت متذكرك وعلى بالي -يغمغم كنت متذكر كثير من التفاصيل القديمة-

يتم تبادل الأحضان بين الاثنين.

ينظر إليه فيصل في دهشة ويقول:

- إن شاء الله مذكرني في خير

يستطرد هو على عَجل واضعاً ابتسامة باهتة:

- طبعاً.... طبعاً.... كل خير

خرجت حروف الكلمات الأخيرة تحمل مجاملة واضحة ويواصل الوزير مجاملته لفيصل حسن عمر بسؤال يعرف إجابته مسبقاً:

- دي كم سنة من السودان يا فيصل؟

يبتسم فيصل وفي نفسه شيء من حتى ويرد ساخراً:

- نحنا أساساً ما اتقابلنا في السودان إطلاقاً، أنا لمن طلعت من السودان وإشاعة خبر استشهادي في الجنوب الكلام دا كان سنة تسعين واحد تسعين تقريباً، إنت كنت لسه في الثانوي أو على أعتاب الجامعة على ما اظن.

يدخل ساعي منافق بتدينه الظاهر يضع أكواب العصير وطقم ضيافة فاخر للشاي، يتناول فيصل كوب العصير يرتشف منه يستطعم فاكهة الكيوي ويواصل قائلاً:

- وكيف حال منصور والوالدة وأختك سلوى؟

ينظر إليه الوزير تائهاً ويقول:

- في خير حال.

يرد فيصل مستهجناً رد الوزير المختصر:

-طيب الحمد لله.

يصمت ثم ينظر إلى الوزير في خبث واضح ويكمل حديثه بعد أن يدور ببصره في المكتب:

- ما شاء الله تبارك الله أمورك واضحة وكمان سمعت إنك عايز تعرس الثالثة.

يشيح الوزير بوجهه ويرد في ضيق:

- سنّة وابتدعتوها لينا، أنتم السابقون ونحن الل ....

لم يكمل الوزير حديثة حتى دلف إلى المكتب عمار باشري بقامته المترهلة وتلك الملامح الغبية، فتح الوزير عينيه في دهشة حقيقيه ...... لماذا؟ لماذا؟ هل هي صدفة أن يجتمع فيصل حسن عمر وعمار باشري في مكتبة وفي هذا اليوم تحديداً؟ يحرك المنضدة ويضعها على أثر البلل الذي على السجادة، بلل ودماء معركة التحرير السابقة، تزاحمت الأسئلة في عقله لم يستطيع تكملة بقية الأسئلة وقف مصدوماً حتى أن عمار مازحه قائلاً:

- إنت يا زول مالك ما عايز تسلم علينا ولا شنو، ربنا يسألك ليك كم سنة مما تلاقينا آخر مرة؟

صافح الوزير عمار ببرود وهو يقول:

- اعتقد خمس أوست سنوات

تصافح عمار وفيصل بحرارة وجلس ثلاثتهم متقابلين نظر ناحيتهم يجلسون على الكنبة التي تبرجت هيفاء فيها قبل حين.

لقد كان من الواضح أن عمار وفيصل على تواصل وتواعدا داخل مكتبه.

صوت نغمة تلفون فيصل حسن عمر عبارة عن موسيقى لإحدى أغنيات سيلين ديون، لقد انتهت موضة النغمات الجهادية، فيصل يرد على التلفون المحمول ويتحرك إلى اقصي الركن الشمالي ينظر إلى صورة الوزير على الحائط، الصورة تجمع الوزير مع فضل المرجي وأبودجانة وعلي عبدالفتاح، يشيح فيصل بوجهه فالصورة أقرب إلى وخز الضمير منها إلى محاسبة صامته لمشروع ضحى ثلاثة من في الصورة من أجله، في هذه الأثناء كان عمار باشري يفتح جهاز اللاب توب أمامه وهو يشرح سبب تلك الزيارة، لم يستوعب الوزير من حديث باشري سوي أن هنالك مشروع جديد لاستنزاف الوطن.

ينقل الوزير بصره ما بين فيصل حسن عمر وعمار باشري وتتداخل صورة بشير الطيب والتاية ومحمد عبد السلام تتعالى ضربات قلبه، ثلاثتهم قتلة نعم قتلة

يسرح الوزير بعيداً مع بدايات عصر التمكين، لم تمضِ على ثورة الإنقاذ أكثر من أربعة أشهر وهو الآن يتذكر البيان الأول بصوت العميد عمر حسن أحمد البشير، ومع مرور الأيام عرف

أن البيان سجل داخل مكاتب منظمة الدعوة الإسلامية، يغمض عينيه في ألم، البيان الأول وثيقة لفشل المشروع صوت إدانة كامل سبابة اتهام تشير إلى مكمن الخلل وتضع يدها على الجرح الغائر صوت كلمات العميد مثل الرعد الداوي داخل رأسه ......

أيها الشعب السوداني الكريم إن قواتكم المسلحة المنتشرة في طول البلاد وعرضها ظلت تقدم النفس والنفيس حماية للتراب السوداني وصونا للعرض والكرامة وترقب بكل أسى وحرقة التدهور المريع الذي تعيشه البلاد في شتى أوجه الحياة وقد كان من أبرز صوره فشل الأحزاب السياسية في قيادة الأمه لتحقيق أدنى تطلعاتها في الأرض والعيش الكريم والاستقرار السياسي حيث عبرت على البلاد عدة حكومات خلال فترة وجيزة وما يكاد وزراء الحكومة يؤدون القسم حتى تهتز وتسقط من شدة ضعفها وهكذا تعرضت البلاد لمسلسل من الهزات السياسية زلزل الاستقرار وضيع هيبة الحكم والقانون والنظام...

يقف مع نفسه، تلك الكلمات التي قالها العميد وعمل على صياغتها تنظيم الجبهة الإسلامية القومية يومها لتبرر سيطرتهم على السلطة، الآن ماذا كان الكسب؟ لم تعد هنالك مؤسسة عسكرية بل لم تعد هنالك سيادة وطنية، ومازال صوت العميد البشير يأتي معتماً كريه الرائحة في يوم جمعة من المفترض أن يكون مباركاً:

أيها المواطنون الكرام

لقد عايشنا في الفترة السابقة ديمقراطية مزيفة ومؤسسات دستورية فاشلة، وإرادة المواطنين قد تم تزييفها بشعارات براقة مضلله وبشراء الذمم والتهريج السياسي...

يغمغم الوزير مطأطئ الرأس زائغ العينين:

- **أي شعارات براقة غير تلك التي كانت طوال مسيرة تنظيمنا يا عمر؟**

لم يعد يحتمل البيان الأول إنه الإفك والكذب، تُصَب الكلمات صباً على مسامعه، يشعر بأن رأسه يكاد ينفجر، صدى الصوت القديم كأنه زيت يغلي صب على الأذن يصيح دون صوت.

وما الجديد فيها ياعمر ولقد فقد الوطن أطرافه في عهدك، وما كنا نحن بدفاعنا الشعبي أكثر من مليشيا حزبية نقاتل الوطن في الجنوب ونبشع به في الجامعات ونضرب المعارضين للمشروع في عاصمته، والبيان الأول يستمر بركانا متفجراً.

أيها المواطنون الكرام

فكما فشلت حكومات الأحزاب السياسية في تجهيز القوات المسلحة لمواجهة التمرد فقد فشلت أيضاً في تحقيق السلام الذي رفعته الأحزاب شعاراً للكيد والكسب الحزبي الرخيص حتى اختلط حابل المخلصين بنابل المنافقين والخونة وكل ذلك يؤثر سلباً على قواتكم المسلحة في مواقع القتال وهي تقوم بأشرف المعارك ضد المتمردين ولا تجد من الحكومة عوناً على الحرب أو السلام هذا وقد لعبت الحكومة بشعارات التعبئة العامة دون جدوى أو فعالية...

الآن وقد وصل مرحلة متأخرة من الإرهاق ينظر في فراغ المكتب عمار باشري يقلب بعض الأوراق على المنضدة أمامه ويواصل في الضرب على ازرار اللاب توب، فيصل يغادر المكتب لأمر عاجل على أن يعود بعد ساعة، ترى كيف سوف يكون حال

والد بشير الطيب عندما يعلم أن قاتل ابنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق تحت حماية الدين والدولة؟! البيان الأول والمشير مازال يتغوط الكلمات ومرارة الذكرى.

مواطني الشـرفاء

لقـد تدهـور الوضـع الاقتصـادي بصـورة مزريـة وفشـلت كل السياسـات الرعنـاء فـي إيقـاف هـذا التدهـور ناهيـك عـن تحقيـق أي قـدر مـن التنميـة، فـازدادت حـدة التضخـم وارتفعـت الأسـعار بصـورة لـم يسـبق لهـا مثيـل واسـتحال علـى المواطنيـن الحصـول علـى ضروریاتهـم....

الآن الشيطان يسهب في الضحك وينظر إلى كلمات البيان ويقول إني أرى ما لا ترون، كيف لا والواقع الآن يقول عكس البيان حتى الشيطان تبرأ منا.

انتهى البيان الأول، وصوت البشير يرتل كلماته من جب سحيق ينفث ما في جوفه من نار، البيان هذا يعتبر الآن وثيقة خطيرة تديننا لا أكثر، ما الذي يجري ولماذا تحاصره تلك الذكريات الآن؟! ينظر إلى فضاء المكتب فيصل حسن عمر غادر إلى اتفاق جديد، أو مواعدة مع عسس النظام، وربما مع مُومِس من النوع الذي ظهر مع ظروف الوطن الإقتصادية تلك، عمار باشري ذلك الوغد الحقير عاصره أيام الجامعة، كم هو انتهازي وقح لم يتفق معه إطلاقاً، كانوا أعداءً في التنظيم، زاحمه في حب شاهندا ...... (شاهندا) يآآآآآه هذا الاسم اللعين (شاهندا)، كادر نسائي إسلامي لها أنوثة طاغية، وثورة جسد لا تعرف الخمود، لم تكن محجبة أو ذات لبس فضفاض، كانت أقرب إلى غانية من كادر إسلامي، لها

جراءة غريبة في الدفاع عن التنظيم، عندما شاهدتها اعتقدت أنها كادر شيوعي وصدمت عندما علمت بتوجهها الإسلامي، شاهندا أنثى ركعت أمامها الجباه بغرة الصلاة، لهثت خلفها ذقون الشيوخ وطاردتها أعين الشباب خشوعاً، و بفضل منها _ تَقدُّم متحرك كامل للجنوب_ بعد قنوطٍ في حبها، إنه يذكر جيداً عندما كانت تصدح بأناشيد الحركة وشعرها مسدل على كتفيها، لم يكن التنظيم لها عقيدة بل كان انتقاماً، كان انضمامها للجبهة الإسلامية انتقاماًعاطفياً لا أكثر، الكل كان يعلم علاقتها بكادر الجمهوريين وقتذاك، انتهت العلاقة المشروع فكان انتقام شاهندا قاسياً بالانضمام إلى العدو اللدود بشرط أن تحافظ على تفاصيلها، وبالرغم انها كانت تكبرني بأكثر من أربعة أعوام، إلا أنني ذبت في عشقها، لم أكره شخصاً في حياتي بقدر كرهي لعمار باشري و شريف الامين و خالد الأمير، الثلاثة هم من خانوا عشقي وزاحموني في شاهندا، خسرت شاهندا الرهان وأصبحت جارية للجنس في سوق نخاسة التنظيم مزواجة في أقل من سنتين تزوجت شاهندا من ربيع وعلي المبارك وياسين، أين هي الآن؟ اعتقد أنها سفيرة في إحدى الدول الأوربية أو صاحبة شركة في دبي، يا له من زمن.

عمار يضرب على أزرار اللابتوب أمامه هو مشغول الآن، ثلاثتنا قتلة، نعم نحن قتلة أنا وفيصل وعمار...... نحن قتلة.

يسرح مرة أخرى إلى نفس المكان الذي في خيال الذكريات، لم يمضِ على بث بيان البشير الأول أربعة أشهر، يومها كنت بالمدرسة الثانوية داخل دار الإتحاد تحديداً، أحفظ ذلك اليوم

جيداً، وكانت الرسالة قادمة من أستاذ الرياضيات عبد الشافي، أين هو الآن؟ سقط من ذاكرة الزمان والتاريخ ... نعم إن نوعية هؤلاء لابد أن تسقط بس، هكذا اتفق الجميع في المدرسة الثانوية على أن أستاذ عبدالشافي يعاني من مرض نفسي، وهو حب الظهور والسادية، كان يتفنن في تعذيب التلاميذ وبالأخص تلاميذ «المصارين البُيض» كما كان يقول، كانت وظيفته هي نقل الأخبار وكتابة التقارير، حتى أن مدير المدرسة كان يخشي عبدالشافي، فيكفي كتابة تقرير واحد في المدير أو أي أستاذ؛ حتى تتم له استضافة مجانية في بيوت الأشباح والتي تكاثرت في تلك الفترة من عمر التمكين، تدربت تحت هذا الرجل، رضعت منه كل أشكال الخسة والدَّناءَة، ليس وحدي بل كل التلاميذ الناشطين في اتحادات الثانويات بالعاصمة المثلثة، كانت الرسالة عن طريق هذا الكائن الذي أوكل إليّ مهمة تحريك عدد مقدر من تلاميذ المدرسة إلى جامعة الخرطوم، وقفت أمام عبدالشافي كان نحيل الجسد له رأس كبير أصلع تماماً، أبرص البشرة تفزع عند النظر إلى وجهه، فهو دون حواجب أو شارب أو ذقن، له شريط ضيق من الأعين، وعلى جبهته غرة صلاة شديدة السواد كأنها صنعت صنعاً، قال يومها من خلال فم خالٍ من الأسنان في الفك الأعلى:

- إنت عارف الشيوعيين والعلمانيين عاملين جوطة في جامعة الخرطوم، اجمع عدد من أعضاء التنظيم في المدرسة واستأجر حافلة عمك مصطفى وتحركوا على جامعة الخرطوم بوابة شارع النيل ...انتهى.

الرسالة واضحة، التوجه لجامعة الخرطوم السنتر لتأديب

الشيوعيين، وفي كل أمر جلل كان الحزب الشيوعي طرفاً، يومها ارتديت قناع استاذ عبدالشافي، وكمراهق تعمدت أن استفز مدير المدرسة أمام التلاميذ، وحتى أستاذ الكيمياء والذي كنت أكره مادته كثيراً، وقفت أمامه في الفصل وأخرجت التلاميذ من حصته وسط ذهول تام منه، وضعت سلاحي على خصري بصورة واضحة وتحركت أمام مكتب مدير المدرسة الذي كان يكن كرهاً خفياً لكل شعاراتنا، وقفت ونظرت إليه في تحدٍ حقيقي، يومها طأطأ المدير رأسه وانصرف صامتاً، تم إخراج عدد كبير من التلاميذ بعد إلهاب حماسهم المراهق.

تم تنفيذ ما تم الإتفاق عليه مع أستاذ عبد الشافي، وتحركت حافلة العم مصطفى وداخلها تم توزيع الأسلحة البيضاء، من سيخ وسكاكين وجنازير وحتى السلاح الناري، فقد كنت أمسك بمسدس عبد الشافي الشخصي وهو مسدس إف إن صناعة بلجيكية، وزنه ٦٢٥ غ بدون الطلقات، ويتسع لعشرين طلقة.

واستلم صديقي مصعب عثمان مسدس آخر، عبارة عن ايكول جاكال أسود العيار ٩ ملي خزنة ١٦ طلقة وهو يعتبر مسدس صوت، ويومها استخدم مصعب المسدس لإرهاب الحشود من طلاب الجامعة.

تعالت الصيحات بين التلاميذ داخل الحافلة وقف مصعب وقال بصوت جهوري قوي:

هذي دعائم دعوة قدسية .. كتب الخلود لها مدى الأزمان

هذي مبادئنا التي نسعى لها .. في حالة الإســـرار

والإعلان

الله غايتنا وهل من غاية .. اسمى وأغلى من رضى الرحمن

وردّد التلاميذ معه بنفس الحماس المشحون.

لم تكن أحداث جامعة الخرطوم التي اندلعت بعد أربعة أشهر من بيان العميد مُفاجئة لي، فقد كنت أعلم قبلها بيومين ومتابعاً لتطورات الموقف مع أخي منصور، وهو يكبرني بحوالي خمس سنوات ويدرس بكلية الآداب جامعة الخرطوم المستوى الثالث، طرق أخي على باب الشارع متأخرا جداً حوالي الساعة الرابعة صباحاً، طرقات خفيفة على باب الحوش الجنوبي لمنزلنا، عرفت أنه منصور من صوته منادياً لي، فتحت الباب دون أن أيقظ أي شخص بالمنزل كان أثر الإعياء واضحاً على منصور منهَكاً وأشعث، دخل إلى الغرفة التي بالقرب من الباب تبعته بفضول كان هنالك أثر دماء على ملابسه، سألته بجزع:

- يا ربي الحاصل شنو يااااا منصور؟

رد عليّ بحسم:

- وطي صوتك ياخي إنت عايز أمك وأختك يصحو مش؟!

كنت قد بلغت من الفضول مبلغاً، قلت بصوت أقرب إلى الهمس:

- الحاصل شنوووو طيب؟

الفصل الثالث

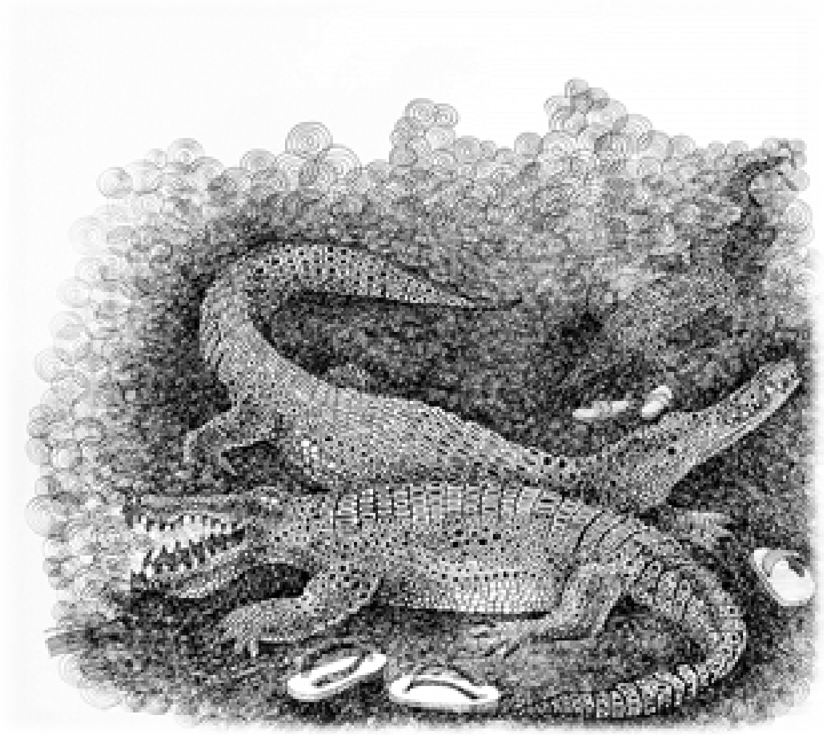

الـهـروب

كنت مفتوناً بأخي الأكبروأرى فيه شموخاً وأحاول تقليده في كل تصرفاته، كانت أسرتنا متواضعة، ولدان وبنت بالإضافة إلى السيدة الوالدة، والدي توفي منذ زمن، أنا أصغر إخوتي، عندما أذاع العميد بيانه الأول كنا من ضمن أنصاره.

بسبب ظروفنا الإقتصادية التحق منصور بركب التيار الإسلامي، الجبهة الإسلامية القومية ومنظماتها في الحي، كنا من أشرس المدافعين عن الترابي والإسلاميين، لم تُعرف لنا صلاة في مسجد أو صيام جماعي قبل ذلك في حياة الوالد، بالعكس كان والدي سكيراً و مزواجاً، يقوم بضرب أمي وطردنا إلى الشارع، حياتنا كانت عبارة عن فضيحة كبرى، كنا أقرب إلى المشردين من كوننا أسرة، البيت جحيم لا يطاق، وبموت والدي ونشاط منصور وسلوى والوالدة مع الجبهة الإسلامية القومية في ثمانينيات القرن الماضي، تغير الحال وكان التغيير الأكبر إبان معركة انتخابات العام ١٩٨٦ ، ونشاط منصور مع الوالدة واختي سلوى التي تكبر منصور بحوالي ٣ سنوات في الدائرة رقم ٢٧ أ، من أجل حث الأهالي على التصويت لمرشح الجبهة الإسلامية القومية حسن عبدالله الترابي، مكثنا في الصحافة فترة الثمانينات كلها، وكانت الدائرة ٢٧ أ دائرة الصحافة وجبرة من أكثر الدوائر سخونة وحراكاً، يومها تكالبت

علينا الأحزاب وتوافقت في ما بينها لتركيع راية الإسلام في اعتقادنا، سحبت كل الأحزاب ممثليها من تلك الدائرة و حصر الصراع بين الدكتور الترابي ومرشح الحزب الاتحادي الديمقراطي حسن شبو، في تلك الفترة ظهرت أختي سلوى بنشاط واضح هي وأخي منصور وكانا الدينامو المحرك للدائرة، وحتى بعد سقوط مرشح الجبهة الإسلامية القومية بفارق ألف صوت حسبناه انتصاراً لنا في تلك المعركة الانتخابية، تعرفت أختي على كادر إسلامي ضليع يدعى عثمان خالد مضوي وكثر التردد على منزلنا من قبل قيادات الجبهة الإسلامية القومية، وأصبح قبلة لعدد كبير من أعضاء التنظيم وبالأخص عثمان خالد مضوي، وانتهى الأمر بزواج أختي من تلك الشخصية وبدأت مرحلة مهمة في تاريخ حياتنا كأسرة.

يعود الوزير إلى الواقع ويبتسم في آسًى عند هذا الاسم، -يغمغم - من الواضح أن برنامجنا الحضاري كان مرسوماً بنفس نمط شيخ عثمان خالد -هكذا ردد مع نفسه بصوت هامس- لقد كان الرجل زير نساء.

ينظر إليه عمار باشري باستغراب:

- قلت شنو؟

لم يَعر عمار أي اهتمام ورد بفتور:

- لا ما في شيء، ويرجع إلى ذاكرته المريضة.

يتناسى باشري تساؤلاته للوزير وتتابع أصابعه نقراً على لوحة اللابتوب الذي أمامه، مع تقليب بعض الأوراق في انتظار

فيصل حسن عمر.

يسرح الوزير مرة أخرى مع الاسم، عثمان خالد مضوي زوج أخته الكبرى في وقت سابق، لم يمضِ على زواج أختي سنة من عثمان أذكر جيداً، كنت صغيراً ولكن التفاصيل الآن محفورة في ذهني كأنها فيلم يعرض أمامي، ذهبنا أنا ومنصور إلى الاحتفال الذي أقيم لتأبين الرشيد الطاهر بكر بضاحية كوبر بالخرطوم بحري، تركنا الوالدة وسلوي بالمنزل الجديد بعد رحيلنا من الصحافة، دائرة الترابي التي سقط فيها في الانتخابات الأخيرة، استأجر لنا عثمان خالد مضوي منزلاً بالقرب من سكن أختي بحي المغتربين ببحري، في ذلك اليوم المشهود وعند رجوعنا إلى المنزل من التأبين كانت أختي في حالة يرثى لها، قالت أمي إن زوجها عثمان مقبوض عليه في قسم الشرطة، كنا صغيران لم نستوعب بعد حكاية قسم شرطة تلك وأن زوج أختي مقبوض عليه، خرجنا صوب القسم المشار إليه وفي القسم عرفنا من الضابط أنه تم القبض على شخصين داخل عربه اتضح أنهما رجل وامرأه يمارسان الرذيلة، وعند تدقيق الهويات اتضح أن الرجل هو عثمان خالد مضوي القيادي الإسلامي المعروف، وانتشر الخبر انتشار النار في الهشيم، و المدينة التي لا تعرف الأسرار هي الخرطوم، واتخذت جريدة الوطن من هذا الخبر مادة للتندر والسخرية والفكاهة من التيار الإسلامي، وتبارى رسامو الكاريكاتير في تصوير المشهد، فالرجل من قياديي الحركة الإسلامية ويعبر عن فكر الشريعة الإسلامية التي ترجم المحصن الزاني.

يومها انهارت أختي وأمي لقد كان ذلك اليوم من أسوأ الايام

في حياتي، ضاقت بنا الدنيا وعدنا مرة أخرى إلى الصحافة، بعد طلاق أختي التي كرهت الإسلام والإسلاميين.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، ولمرة أخرى يسقط عثمان خالد مضوي القيادي الإسلامي في اختبار أخلاقي في العام ١٩٩٦على ما أذكر، وأنا أطالع جريدة ألوان أشاهد صورة عثمان بعد ما طلّق أختي بفترة طويلة تحت إعلان لمتهم هارب، النيابة العامة تطلب من الشرطة القبض على عثمان خالد مضوي وتطلب منه أن يسلم نفسه لأقرب مركز شرطة، وذلك لاتهامه تحت المادة ١٧٩ من قانون العقوبات (الاحتيال وشيكات دون رصيد) حيث أن النيابة قد نما إليها أنه قد أخفى نفسه. كنت على علم بأن عثمان قد أخذ قروضاً وتسهيلات بنكية بالمليارات بضمان أنه كادر إسلامي فقط ولم يردها، هكذا كنا.

والذكرى تعتصر القلب ألماً، وأختي سلوى لم تذق طعماً للحياة منذ ذلك الوقت، وأصبحت لديها حساسيه قوية تجاه التنظيم والحزب، حتى أنها كثيراً ما دخلت مع منصور في نقاش حاد انتهى بالصراخ والشجار والفضيحة، حيث كانت تتعرى وتتبرج بصورة سافرة الأمر الذي يزعج منصور كثيراً، ليس دينياً ولكن للمساس بهيبته التنظيمية، كانت ردة فعل سلوى قوية تجاه المبادئ التي آمنت بها وتمت خيانتها فيها، كنت متعاطفاً مع أختي، ولكن مثلي الأعلى كان أخي منصور، وعندما دخلت الجامعة تعرفت على شاهندا التي كانت لها نفس ردة الفعل العاطفي التي عند أختي سلوى.

يأخذ منصور بيدي محذراً لي بأن أخفض صوتي، يخلع

ملابسه على عجل يدخل الحمام ليغتسل، تستيقظ أختي سلوى ومازالت تحمل نفس الجرح الذي سببه لها عثمان مضوي من سنوات، تسأل:

- في شنو خير مالكم صاحيين لي هسة؟

أرد عليها بحرص:

- ما في شيء يا سلوى دا منصور جاء متأخر حبة كان بذاكر مع واحد صاحبه.

يخرج منصور من الحمام بعد أن تأكد من أن سلوى عادت إلى النوم، فهو يعرف حساسية سلوى لأيّ نشاط مع التيار الإسلامي وإخوان الشيطان كما كانت تسميهم.

داخل الغرفة يشرح منصور الأحداث، أحداث ذلك اليوم مساء الإثنين ٤ ديسمبر ١٩٨٩.

بعد أن صمت برهة كأنه يسترجع ذكرى الأحداث أو يحاول أن يستجمع أفكاره لسرد دقيق نظر إليّ بتساؤل وقال:

- بتعرف فيصل؟

- فيصل منو؟

- فيصل حسن عمر.

- فيصل حسن عمر......... فيصل حسن عمر...... والله ما عارفوا يا منصور.

- طيب تتذكر لمن جيتني في الجامعة السنة الفاتت مش كان في واحد كدة من أولاد آداب بتناقش مع شخص من الإتجاه الإسلامي في الكافتيريا وإنت قلت لي دا منو الزول دا؟

- أيوووووه بس عرفتوا، وحتى كمان علقت ليك وقلت ليك الكادر دا ضعيف لأنو العلماني الثاني كان أكتر تعقل منو وثقافة وواثق كدة من نفسو أكتر.

يرد منصور:

- أيواااا صاح... دا كان فيصل ذاااتو والعلماني الثاني دا كان ولد من آداب اسمه بشير الطيب الدفعة القدامنا.

- طيب والكلام دا علاقتوا شنو بالدم والشكل الإنت فيهو دا؟

أكمل منصور:

- فيصل دا من الصباح كان حالف للود البمشي مع الشيوعيين وبضرب في التيار الإسلامي دا.

أرد في اقتضاب:

- معاك بس الكلام دا على حسب رأيي مفروض يكون طالع من التنظيم.

- ايوة كان تكليف من التنظيم ومباركة من القيادة، بشير الطيب لازم يتأدب، وتم تكليف فيصل بتأديب بشير ومعاهو عدد

من الكوادر الإسلامية ودي ما المرة الأولى بالمناسبة أصلو بشير الطيب كان مسبب قلق كبير لينا في الجامعة. شخص غبي يكره التيار الإسلامي بتذكر في السنة الفاتت شهر نوفمبر تحديداً كان في نشاط مسرحي لرابطة آداب عن مسرحية سقوط الباستيل بدار الأساتذة. يومها توترت الجامعة بصورة كبيرة و بشير يشن هجوماً قوياً علينا وانتهى الأمر بمشاجرة كان الغرض الأول منها هو تصفية بشير. حتى فيصل نفسه كان من ضمن الكوادر التى ضربت البشير بس الولد الاسمو البشير دا ذي القط بي سبعة أرواح. قدر يطلع من المشاجرة دي بي جرح بسيط جداً. والمشكلة إنو سمومه زادت علينا.

يواصل منصور بحماس:

- كنا راصدين بشير فترة طويلة والتنظيم كان متوعده بالتأديب لأنو بالجد كان قليل الأدب رصدناه بعد خمسة شهور بعد حادثة مسرحية سقوط الباستيل. وفي يوم جمعه مشهود و بالقرب من مسجد البركس. كان طالع من المسجد بعد صلاة العصر وفي ثواني حاصرناه بالسيخ والطيقان وسياط العنج. يومها أخرج (صديق عبدالعزيز) هندسه مدنية سكين. وكان عايز يغرسها في قلب بشير المريض وهو يصرخ بهيستيريا (عدو الله ... عدو الله). واليوم دا جد عرفت إنه بشير دا بي سبعة أرواح. وتاااني فلت الكافر منها بعد ما تمت حمايته من رابطة أبناء منطقته جنوب كردفان. بس الكلام دا ولّد عندنا عزيمة قوية إنه بشير لازم يتم حسمه إن شاء الله ولو وصل الأمر إلى التصفية أمام الطلاب.

يأخذ منصور نفساً عميقاً وينظر إلى سقف الحجرة طويلاً ثم يواصل:

- اليوم المساء استدرجنا بشير لداخل الجامعة بالقرب من كافتيريا اقتصاد ......

أقاطع منصور باستفهام ظل في داخلي من تكرار عمليات ضرب أو محاولة قتل بشير:

- هو بشير دا شيوعي يا منصور؟

يرد منصور وكأنه تفاجأ بالسؤال:

- ما اعتقد بس لاصق فيهم ساي بكرهنا شديد والله.

نظرت في عينيّ منصور وقلت باستنكار:

- بكرهكم إنتو في ذاتكم ولا بكره التنظيم الإسلامي وعندوا رأي في أفكار الجبهة الإسلامية القومية؟

أشاح منصور ببصره عني وقال:

- ما فرقت المهم إنه كان متعب جداً لينا؟

اقذف بسؤال آخر وأنا أتحاشى النظر إلى منصور :

- طيب ما سلوى أختي برضو بتكره التنظيم يا منصور؟

نظر إليّ منصور طويلاً حتى انتابني إحساس بأن نظراته تخترق جسدي مثل الرصاص، وفي محاولة لتغيير مجرى الحديث

قدمت لـه سـؤالا آخـراً:

- طيب والحصل شنو بعد داك؟

يرد منصور بسرعة هارباً من أثر السؤال الأول:

- الحصل إنه الأمر تطور فجأة وبشير عنده حس أمني قوي عرف إنه في كمين عاملنه ليهو، كان بالقرب من كافتيريا اقتصاد كان معاه بت اسمها أمل على ما أعتقد كنا متحمسين جداً لضربه أو حتى تصفيته لو اقتضي الأمر، الساعة كانت متأخرة وفي الناحية دي ما كان في طلاب كتير، كنا أكتر عدد منهم عملنا تأمين وفجأة وبدون مقدمات غيّر بشير وجهته واتحرك إتجاه شارع المين، كان ماشي لكلية الآداب...

صمت منصور برهة، تناول رشفة ماء من الجك البلاستيكي الأحمر الموجود على التربيزة، صوته يخرج بصعوبة، كان يبذل مجهوداً خرافياً لسرد بقية التفاصيل، صوت ضربات قلبه تصل إلى خارج الغرفة ونسيَ وصيته لي بأن أخفض صوتي، واصل منصور بتوتر ظاهر:

- كان التوجيه إنه يتم تأديب أو تصفية بشير، دا التكليف الوصلنا من التنظيم فوق بعد اجتماع مع قيادات في الدولة، وكان الكلام واضح لينا إنه أي محاولة من العلمانيين أو الشيوعيين أو أشباه الشيوعيين تقابل بالدم والتصفية الجسدية فوراً، وفي الفترة الأخيرة كانت البلاغات ضد بشير تتكاثر بصورة كبيرة وعزمنا على الأمر وتوكلنا على الله، كانت معركة جهادية في الحقيقة أكثر من أنها تأديب لعلماني تطاول

على الإسلام.

نظرت إليه بدهشة:

- الإسلام؟!

يرد منصور بحماس: -

- أيوة الإسلام؛ البعارض مشروعنا بعارض الإسلام.

صمتُ في حيرة من أمري وتركت الفرصة لمنصور ليواصل أحداث اليوم، يستطرد منصور مواصلاً حديثه بنفس التوتر:

- بعد ما بشيرو أمل تحركوا من كافتيريا اقتصاد شلتنا المفاجأة وأشوف فيصل راكض خلفه وهو يصيح

«بشير بشير أقيف دقيقة عايزك»، لم يلتفت بشير إليه فقد كان واضح إنه فيصل يحمل نية الغدر، ركضت أنا وعدد من الكوادر وأول ما بشيروصل النقطة المظلمة في الركن المطل على شارع المين كان فيصل قد لحق به وبدون وعي غرس السكين في ظهره، صوت صراخ البنت المعاهو مزق سكون ليل جامعه الخرطوم، وفي لحظات سكن الهواء وانقطعت الأنفاس وأظلمت الدنيا أمامنا وما من حل إلا المواجهة، وقع القدربشيريترنح والدماء تسيل من ظهره أمل صديقة بشيرانهارت تماماً أمام مشهد الدم، أصبحت مثل البكماء وهي تنظر إلينا في هلع حقيقي.

جحظت عيناي في هلع أنا أيضاً، فما بالك بتلك المسكينة التي شاهدت ما حدث أمامها، شممت رائحة الدم الحاربرغم أنني

لم أشاهد الحادثة، وخرج صوتي مبحوحاً:

- لاحول ولا قوة إلا بالله

لم يكن عقلي الصغير الذي ما زال على الفطرة يتخيل أن الأمر يمكن أن يصل إلى مرحلة الدم وبهذه الصورة الغريبة.

واصل منصور وكأنه يتحدث عن موقعة إسلامية تضاهي موقعة أُحد أو بدر:

- الضربة شكلها كانت كبيرة، والمشكلة الأكبر وجود عدد من الطلاب رأوا فيصل وهو يغرس السكين في ظهر بشير، وعاجله بضربة ثانية على بطنه بالقرب من الكلَية، وبعدها أطلق ساقيه للريح في اتجاه الميدان الشرقي وفي يده السكين وسط صرخات الطلاب.

يخرج صوتي كأنه قادم من جب عميق:

- طيب وبعدين؟

يسترخي منصور على الفراش وينظر إلى الفراغ ويقول:

- كان همنا الأول في تلك اللحظة حماية فيصل بالأخص بعد أن تعالي الصراخ من بعض الطالبات، فلحقنا بفيصل وتوجهنا إلى السور الشرقي للميدان وقفزنا السور، كان الترتيب أن تكون هنالك عربة تابعه للتنظيم في انتظارنا بالقرب من بوابة الميدان الشرقي، تحركت سريعاً ولحقت بنا بالقرب من كبري النيل الأزرق كان الوقت متأخراً والقوة التي تُرابط

بالكبرى في حالة استعداد ،أوقفونا، ثم نزلنا معهم إلى الخيمة المنصوبة تحت الكبرى والتي كانت أفضل ساترلنا.

أخذ منصور يشرح تفاصيل الحادث، وكنت داخل نفسي أُغالب إعجابي بالفيلم المعروض أمامي، نعم كنت أشاهد كلمات منصور تتحرك وعزمت داخل نفسي كمراهق أن يكون لي دور في هذا المشروع.

الفصل الرابع

الطبيب والألم

يسترخي جسد منصور على الفراش وينظر إلى الفراغ كأنه يبحث عن شيء ما، يقول وهو سارح في الأحداث:

- كان همنا الأول في تلك اللحظة حماية فيصل خصوصاً بعد تعالي الصراخ من بعض الطالبات، لحقنا بفيصل محاولين تأمينه إلى خارج الجامعة، وصلنا ناحية الميدان الشرقي وقفزنا السور ناحية الكبرى وكان الترتيب أن تكون هنالك عربة تابعه للتنظيم في انتظارنا بالقرب من بوابة الميدان الشرقي، لم نستطع الوصول اليها وفضلنا الخروج قفزاً فوق السور الشرقي للجامعة، واتجهنا نحو الكبرى في طريقنا إلى بحري، كان تفكيري أن نصل موقف شندي، وحدة أمن الثورة، ولتأخر الوقت كان العساكر المكلفين بحراسة الكبرى في حالة استعداد أوقفونا بصرخة أزعجت سكون النيل الازرق برغم عنفوانه:

- ثاااابت

وقفنا والحذر يعتلي وجوهنا، وزاد من توجسنا سماعنا صوت ركض لبعض طلاب الجامعة يحاولون الوصول إلينا وصيحاتهم يصل صداها إلى عمق الكبرى:

- يا شباب الكيزان نطوا من فوق السور نطوا من فوق السور

وقفنا على صياح عسكري هزيل له صوت عال يخرج كأنه نهيق أتان في موسم التعشير، تقدم ناحيتنا العسكري وعلى الإضاءة الخافتة كانت ملامح وجهه تبدو مألوفة لديّ، أشعث الذقن تبدو غرة الصلاة واضحة على جبهته له عرج خفيف في مشيته قصيرو هزيل على الضوء الخافت يبدو أقرب لكائن فضائي منه إلى إنسان لم تكن ملامحه تدل على أنه عسكري اطلاقاً أو حتى بشراً، بس الخلقة دي معروفة لدي، نعم إنه إدريس، إدريس أستاذ الدين في مدرستي الثانوية وكادر الأمن الشعبي وأحد المشاركين في التحرك العسكري ليلة ٣٠ يونيو الآن استراح قلبي تعرف علينا إدريس سريعاً.

يلتفت منصور إليّ وفي عينه بريق مخيف:

- عرفت ادريس دا؟

أرد والاهتمام يبدو ظاهراً عليّ

- دا مش الكان عايزيتزوج أختي سلوى بعد الطلاق وأمي قالت ما بنديها ليه عشان هو فلاتي؟

يرسم منصور ابتسامة ساخرة ويرد:

- ايوة هو ذاااااتو....

ويوصل سرد بقية الاحداث بنفس الحماس:

- نزلنا مع إدريس إلى الخيمة المنصوبة تحت الكبرى ودا كان أفضل ساترلينا، بعد أن استضافنا وقدم لنا بعض الماء تساءل في حذر: «الحاصل شنو؟» ترك إدريس سؤاله هكذا وهو يحدق في فيصل حسن عمر مازال ممسكاً على الخنجر الذي أطاح ببشير، وعلى قميصه وبناطله بركة دماء ويرتجف تحت تأثير الانفعال كأنه في ليلة شديدة البرودة.

جاء الرد مقتضباً مني:

- صراع بين رسالة التوحيد والشيوعيين في الجامعة،

وكان الرد متوقعاً لدى كوادر التنظيم التي تتولى تأمين الكبرى: «أنتم بأمان الآن»، ولم يكن هنالك شيء آخر خلاف الصمت بعد أن تحول إدريس إلى جهاز اللاسلكي، يتواصل مع جهة معينة معطياً أوامره لبقية العساكر أن تصعد إلى أعلي الكبرى والتصدي بالرصاص لأي محاوله للحاق بنا، كان من الواضح أن إدريس المدني هو قائد خريجي المؤسسة العسكرية في ذلك الحيز بمن فيهم الملازم أول داخل الخيمة، وبالفعل صعد عدد من الجنود إلى أعلى الكبرى وسمعنا صوت رصاص على الطلاب الذين كانوا يركضون خلفنا وصيحات الجنود تمنعهم من التقدم.

أخذ منصور يشرح تفاصيل الحادث وكنت داخل نفسي أغالب إعجابي بالفيلم المعروض أمامي نعم كنت أشاهد كلمات منصور تتحرك وعزمت داخل نفسي كمراهق أن يكون لي دور في هذا الفيلم.

يواصل منصور التشويق ويتحول هلعي إلى استمتاع:

- وقفت عربة صالون كرونا جيش بيضاء بدون لوحات أمام مدخل الكبرى من ناحية اليمين، ترجل منها طارق عبدالكريم الكادر الخطابي وهو معروف بالجامعة الإسلامية، كان يرتدي بذلة عسكرية أيضاً مثله مثل إدريس لم نستطيع التعرف عليه في البداية بسبب الإضاءة ولبس الجيش الذي يرتديه، أخرج طارق بطاقة من جيبه وتكلم مع العساكر أعلى الكبرى أشار إليه أحدهم ناحيتنا، تحدث طارق عبدالكريم مع إدريس بجهاز اللاسلكي وبعدها أشار إلينا بأن نصعد إلى حيث طارق في انتظارنا، تحركت أنا أولاً وخلفي أربعة من كوادر التأمين التابعين للتنظيم كانوا من خارج الجامعة ووضعنا فيصل حسن عمر في وسطنا إنت عارف أنا لحدي اللحظة دي كنت متخيل إنه فيصل دا أخو أستاذ أمين حسن عمر!

يصمت منصور كأنه ينتظر ردة الفعل التي سوف أبديها، يرتفع حاجبي في دهشة حقيقية ويخرج صوتي مستنكراً:

- يعني هو ما أخوه بالجد؟

يرد منصور وعلى شفتيه ابتسامه ساخرة لا تتماشي مع الموقف:

- إطلاقاً ما عنده علاقة بيه تطابق اسماء ما أكتر المهم تحركنا أنا وكوادر التأمين لداخل عربة طارق ومعانا فيصل تحركت العربة صوب منزل القيادي الطيب إبراهيم محمد خير بحي مرزوق بأم درمان.

عندما نطق منصور باسم الطيب إبراهيم يومها لم تكن لي

المعرفة الكافية بهذا الاسم إلا أنه قيادي كبير، يسعى إلى تثبيت دعائم الشريعة في الوطن، لم يكن اسم الطيب إبراهيم مقروناً لي بالسيخ وقتها برغم حبه الشديد للعنف، هو في الأساس طبيب تخصص في أمراض النساء والتوليد ورفض أن يعمل في نفس المجال لا أدري لماذا.

كل عمله بالسلاح الطبي بقسم الباطنية، لعلها عقده الاسلاميين في التعامل مع المرأة، لم يكن اسم الطيب إبراهيم محمد خير مجرد اسم ذكره منصور في حادثة قتل بشير و تأمين فيصل في منزله، بالرغم من أنه لم تكن لدي المعرفة الفعلية بالاسم في ذلك الوقت كما أوضحت؛ إلا أن الاسم أصبح يتردد وبقوة بعد أن تلطخت سمعته بالدماء مع تقدم أيام التنظيم في حكم البلاد.

يستفيق الوزير من الذكريات يتجول بنظره على مكتبه، مازال عمار باشري مهموماً بالأوراق التي أمامه، يبدو أن المشروع القادم على درجة كبيرة من الأهمية، تضم الأوراق على المنضدة صور لمناطق أثرية في السودان وخرائط مكتوب عليها باللغة الإنجليزية كلمة «مناجم الذهب» Gold mines.

يسرح الوزير مرة أخرى وصورة الطيب سيخه تحتل الفراغ أمامه، لقد جمعني معه أكثر من لقاء فيما بعد وتعرفت عليه عن قرب سنة تسعين، كان ذلك بالضبط عقب الإضراب الشهير الذي نفذه الأطباء السودانيون ابتداء من يوم الأحد ٢٦ نوفمبر ١٩٨٩والذي كان له أثرٌ قويٌ في كسر حاجز المواجهة مع النظام، يومها على ما أذكر جاء منصور متجهم الوجه زائغ العينين، دخلنا

إلى الصالون بعيداً عن تساؤلات سلوى وردحها في التيار الإسلامي شتماً وسباً، فقد كانت على اقتناع تام بأن هؤلاء قتلة لصوص زناه لا يتورعون عن مضاجعة المصحف عند تلاوة آيات الحور العين والغلمان، يومها تحدث معي منصور بهمس بأن الوحدة الأمنية قامت بإنشاء مكتب خاص بأمن الثورة تحت مسمي الأمن الشعبي، وتم إدراج أسمائِنا من ضمن الكوادر الفعالة، وكان أول لقاء لي بالطيب سيخه بعد هذا الحديث بأسبوع، حيث تم استدعائي للعمل تحت إمرة ضابط الأمن محمد الحسن أحمد يعقوب، وتم رفع تقرير كامل أوردنا فيه أن الطبيب علي فضل أحد المنظمين الأساسيين لإضراب الأطباء، وعلى أثر ذلك التقرير تم اعتقال الطبيب علي فضل مساء الجمعة ٣٠ مارس ١٩٩٠ ونقل على متن عربة بوكس تويوتا إلى واحد من أقبية التعذيب، أخي منصور كان من ضمن الكوادر التي أشرفت على اعتقال علي فضل وكنت من ضمن الكوكبة التي كانت في انتظار الطبيب يومها تعرفت على الشخصية عن قرب الطيب سيخه هكذا اشتهر.

كنا مجموعة تضم العريف نصر الدين محمد وأيضا على ما أذكر كان هنالك عريف أمن يدعي العبيد من أبناء مدينة الكوة، كنا نجتمع في مكتب نقيب أمن يدعى عبدالعظيم الرفاعي وكان معنا شخص آخر كان أكثرنا تعرصه ونقل الأخبار للطيب سيخه اسمه كمال له صديق ينافسه في التعرصه والفجور يسكن امدرمان الفيتحاب يدعى الأمين ، يسرح الوزير ينظر إلى أعلي السقف كأنه ينتظروحي الاسماء، ومن عمق الذاكرة يتم استدعاء بقية الاسماء، هذا الشخص النحيف لونة يميل إلى الأخضر من منطقة العسيلات إنه نصر الدين نعم كان كثير الهمس مع عادل

سلطان، تمربقية الاسماء مرتبطة بالشخصيات أمام بصر الوزير الذي ظل مثبتاً نظره إلى سقف المكتب جاحظ العينين، حسن علي واسمه الحقيقي أحمد جعفر تأخذ صورة عبد الوهاب محمد عبد الوهاب اسمه الحقيقي علي أحمد عبد الله من شرطة الدروشاب حيزاً في مكتب الوزير، تتلاشى الصورة وتحل محلها صورة نصر الدين محمد، تبهت الشخصية وتتولد صورة ضبابية لشخصية الرقيب العبيد كان يسكن في سوبا مطلع التسعينات وهو عضو قديم بالجبهة القومية الإسلامية.

نعم هذه هي الاسماء التي تعاقبت على تعذيب الطبيب علي فضل ما يقارب الشهرين، يذكرها الآن مازالت في ذاكرته لم تمحَ بعد، كنا نتقاسم ليالي الحفلة كما كنا نسميها، المجموعة تضم ثلاثة أو أربعة من هؤلاء تحت قيادة الطيب سيخه الذي لم يغب يوماً واحداً من حفل التعذيب الذي أشرف علية بصورة مباشرة هو ونافع علي نافع، كانوا يكنون عداوة شخصية واضحة لعلي فضل، استغربت حينها كيف يتسنى لكوادر بهذا الحجم التنظيمي أن تشرف على اعتقال وتعذيب شخص، لكن يبدو أن الأمر لم يكن حماية الثورة بقدر ما كان ثأر قديم وحقد تجاه الرجل المعارض، شاهدت بأم عيني كيف كان يقوم الطيب سيخه بضرب علي فضل وركله، صدرت الأوامر من نافع بأن نخلع كل ملابس الطبيب ونقوم بتقييده بإحكام على منضدة مخصصة تسمى بترابيزة التشريح من الواضح أن الطبيب كانت له كاريزما قوية حتى يخشاه نافع إلى درجة أن يتم إعاقة حركته بهذا الشكل، كانت ليلة حافلة بالألم، كان هواء الغرفة نتن كريه، يرفرف الموت مع حمم الهواء التي تنطلق من جهاز التكييف، لقد بدأت عملية

التعذيب بدون استجواب للطبيب بمجرد وصول علي فضل إلي مبني الجهاز، أخذ الطيب سيخه مطرقة قوية وقام بضربة على راسه، تفجرت دماء حمراء قاتمة تنذر بأن القادم أسوأ، صرخ الطبيب من الألم توقف الطيب سيخه ونظر إلى نافع بانفعال، هاج الأخير منفعلاً:

- ما عايزنوا يموت هسة لسة بدري عليه.

رد علية سيخه بتوتر:

- دا مفترض ندفنه حي.

أشار نافع إلى أحد الكوادر يدعى كمال الحسين وهو طبيب قائلاً:

- خيط ليهو الجرح دا عايزنو حي الزول دا.

وبالفعل تمت خياطة الجرح على رأس علي فضل بدون بنج وبصورة قاسية توجع القلب بعد أن قمنا بنزع ونتف شعر رأس الطبيب حول الجرح وسط صراخ الطبيب من الألم، والحق يقال برغم صغر سني إلا أنني لم أشاهد قوة تماسكاً مثلما شاهدتها في ذلك اليوم من علي فضل، الذي ظل يرد على هذا التعذيب بكل صلابة بل كان يشتم الطيب سيخه ونافع ما يزيد من جنون الرجلين عليه، حتى أنه في بعض الأحيان كنا ومن معي من كوادر الأمن نغلق فم الطبيب حتى لا يثير عليه نافع أو الطيب فقد كان التعذيب مميتاً، كيف صمد الرجل كل تلك الفترة متحدياً هذا الحقد الأعمى منا؟! استمر تعذيب الطبيب لمدة خمسين يوماً تفنن فيها الطيب سيخه ونافع في محاولة لكسر الرجل من ضربه على مكان جرحه الغائر

في الراس إلى الشتم والتوبيخ، وتم استدعاء حفصة، وحفصة تلك امرأة شبح، شديدة السواد نحيفة ليس لها من الأنوثة شيء سوى ذلك الشق الذي بين فخديها، أتت متعرية ترتدي جلباباً مصرياً مفتوح من كل الجوانب، ساقيها عبارة عن عود حطب محروق، صدرها الذي كانت تبديه لنا جافاً تماماً من أي حياة، كانت تقف لنا عند ذهاب نافع والطيب سيخه وتوسع عن فخذيها وتدخل أصابعها في فرجها أمامنا مع تأوهات أقرب لمواء القطط في موسم التزاوج، كان لها فرج أقرب إلى دبر الحمار منه إلى مهبل أنثي، متعفن واسع من كثرة الاستمناء، شفرتيها الصغرى والكبرى كانتا مثل منقار طائر مصاب بالجدري، كنت افتح عيني في هلع من المنظر وسط ضحكات الآخرين، تقدمت حفصة وأمام الطيب و نافع قبضت على أشياء علي فضل بقوة، ضغطت على خصيتيه حتى كادت أن تأخذهما من منبعهما وسط صياح الطبيب من الألم، توقفت أشعلت سيجارة وأخذت تجر أنفاسها باستمتاع، واصل الطيب سيخه هوايته المحببة مرة أخرى في ضرب وركل وشد الطبيب، كنا رهن الإشارة بعد أن تجمدت أحاسيسنا تماماً، سب الطبيب المشروع الإنقاذي والثورة واتهم نافع بالنفاق بأن وصفة بأبي سلول، أخذ نافع يركله على بطنه إلى أن بلغه الإرهاق والتوتر والغضب، تقدمت حفصة ووسط دهشة الجميع وضعت أشياء الطبيب على فمها في مشهد مقزز، تجاهل نافع والطيب المشهد، عضت قضيب الرجل بأسنانها وأمسكت بيدها اليمنى على خصيتيه، إنها فاجرة هكذا قلت في سري، اهتز جسد علي فضل ممانعاً أفلتت رجله اليمنى من القيد فركلت حفصة على وجهها، صرخت المرأة الشبح بحنق وقامت بإطفاء السيجارة التي

في يدها على عين الطبيب، قمنا بتثبيت رجله ثلاثتنا، أخذ الطيب سيخه مطرقة تزن كيلو ونصف من على المنضدة وقام بضرب الرجل على رأسه في نفس مكان الجرح القديم فانفجر شلال بلون أحمر، رسمت دماء الشلال كلمة وطن على أرضية الغرفة، قامت حفصة بنبش جسد الطبيب الذي سكن عن الحركة، أخذت مشرطاً مرمياً بإهمال على الأرض ورسمت خطوطاً دموية على جسد الرجل، حينها خرج الطيب ونافع من غرفة التشريح تلك فقمنا بمنع حفصة وإثنائها عن فعل المزيد، لم تتمالك المرأة نفسها فخلعت جلبابها وباعدت ما بين رجليها وفتحت فرجها أمام مكيف الهواء، تمعنت في ذلك الفرج المتورم دون حياء، هذه المرة خرج الاثنين الآخرين ركضاً خلف نافع والطيب، فضلت المكوث مع الطبيب لا أدري هل خوفاً عليه من تلك المرأة المسخ أم أن فرج حفصة هو الذي دعاني للجلوس، نظرت نحوي بخبث وهي تنفث دخان سيجارتها البينسون، لم تنطق بكلمة تقدمت نحوي وأنا ساكن، ركعت أمامي ولم اتحرك من مكاني قبضت على أشيائي ثم أخرجتها وأنا في صمت تام، لعقت قضيبي ودماء الطبيب ما زالت تسيل من جرحه الغائر على رأسه وترسم خريطة لوطن مبتورة النصف الجنوبي، وضعت أشيائي على فمها ويدها الأخرى تداعب فرجها، إنه مشروعنا القادم سادتي هكذا كنا ونحن نعذب معارضينا، كانت المرة الأولى لي بهذا الإحساس، كبرت أشيائي وخرج ماء الوجود من فرجي مبللاً فم ووجه حفصة التي أصبحت مثل الكلبة الشبقة تلعق ما رشح من فرجي على وجهها وفمها بلذة غريبة، استجمعت قوتي وارتديت بنطالي وخرجت.

تم استدعائي في اليوم الثاني لأخذ الطبيب إلى مستشفى

السلاح الطبي في امدرمان بعد تدهور حالته، كانت درجة حرارة الطبيب مرتفعة، والجرح الذي على رأسه متضخماً بصورة كبيرة وعينه اليسرى ملتهبة تماماً من أثر سيجارة حفصة، وصلنا إلى المستشفى العسكري بأم درمان فجر السبت الحادي والعشرين من أبريل، وتم إنزال الطبيب بعد أن مكث معنا ما يقارب الخمسين يوماً قضاها المسكين في تعذيب مستمر ومنع من الأكل والشرب، ارتبط في ذهني اسم الطبيب بهذا الماء الذي خرج مني على فم حفصة الشبح، أحسست بالغثيان، تركت جسد الطبيب والأطباء حوله في ذهول من ما أصابه، حتى أن طبيبة شابة دخلت في نوبة بكاء هستيري عندما وقعت عينها على الجسد أمامها، لم يكن جسد معتقل سياسي اطلاقاً، كانت حالته مؤلمة لدرجة بعيدة، بعد بكاء الطبيبة وتعرف عدد من الأطباء على شخصية علي فضل؛ تم استدعائي إلى مكتب أمن المستشفى لشرح حالة الطبيب ، وبعد أن أوضحت الأمر تم ارسال أشاره واضحة بأن يتم إسناد مهمة علاج المريض إلى كوادرنا بالمستشفى، توجهت مع رئيس الأمن للعنبر الذي ألقي عليه جسد علي فضل وقبل الدخول إلى العنبر صادفت قائد السلاح الطبي، اللواء محمد عثمان الفاضلابي، والذي أمر المدير الطبي وقتها بإسناد أمر العلاج إلى نائب جراح يدعى أحمد سيد أحمد، بعدها لم يعد لوجودي ضرورة، خرجت بعربة الأمن إلى المنزل، لم استطع النوم يومها فقد كانت صورة حفصة تتداخل مع حالة علي فضل، إلى أن تلقيت إشارة على جهاز اللاسلكي بأن الرجل هلك، كانت الساعة تشير إلى الخامسة وعشر دقائق فقد فارق الحياة إذن قبل عشرة دقائق، فكان علي أن أسرع إلى المستشفى بأم درمان في غضون

نصف ساعة، تحركت من الصحافة وسط وخزات سلوى أختي وهي تسب التنظيم، كانت واقفة في منتصف حوش المنزل وباب الشارع مفتوح على مصراعيه، كانت بفستان نصف كم قصير جداً وشفاف يبيّن تفاصيل جسدها، كانت ممسكة بسيجارة رديئة تجر أنفاسها أقرب لعاهرة منها إلى صاحبة فكر ومشروع في يومٍ ما، لم استطع النظر إليها من بشاعة المنظر كيف آلت أختي إلى هذا الوضع، فضلت عدم الدخول معها في جدال بعد أن وجدتها متحفزة للشجار، أيقنت بيني وبين نفسي بأن سلوكها هذا ردة فعل قديم من خيانة زوجها القيادي بالتنظيم، ولكن ماذا عن سلوكي أنا مع حفصة؟!

وصلت إلى السلاح الطبي وهنالك كانت جثة الطبيب في نفس العنبر وعليها غطاء أبيض، ذهبت إلى الطبيب المناوب فقد خرج دكتور أحمد سيد أحمد الذي تم تكليفه بمتابعة الحالة، من الواضح أن الجميع قد وصلوا إلى ضرورة تصفية الطبيب، ولكن يااا للهول ما هذا؟!! نظرت إلى الطبيب المناوب و أنا أقرأ التقرير الطبي الذي حُرر لموت علي فضل صرخت بذهول :

- داااااا شنوووووو دا؟

كان التقرير يشير الى أن الوفاة حدثت نتيجة نزيف حاد داخل الرأس بسبب ارتجاج في المخ ناتج عن الارتطام بجسم صلب وحاد وتظهر على الجثة الآتي:

- مساحة تسع بوصات مربعة انتُزع منها شعر الرأس انتزاعا.
- جرح غائر ومتقيّح بالرأس عمره ثلاثة أسابيع على وجه

التقريب.

•انتفاخ في البطن والمثانة فارغة، وهذه مؤشرات على حدوث نزيف داخل البطن.

•كدمات في واحدة من العينين وآثار حريق في الأُخرى «أعقاب سجائر».

أخذت جهاز اللاسلكي واتصلت بالوحدة الخاصة بي موضحاً الأمر، أخذ الطبيب ينظر إليّ بهلع غبي وأنا اشتمه، كيف يكتب تقريراً مثل هذا؟ كنت ما زلت في السنة الأولى بالجامعة وأنا أسب وأزجر طبيباً في عمر والدتي، ظهر الخوف على وجوه الأطباء جميعهم مما أصابني بغرور مفرط، أصبحت أصول وأجول في مستشفى السلاح الطبي حتى أن بعض الرتب العسكرية كانت عندما تشاهدني تلقي علي بالتحية العسكرية، في لحظات كان الطبيب سيخه ومعه عدد مقدر من الضباط والأطباء داخل السلاح الطبي، اجتمعوا مع مدير المستشفى الذي أوكل إلى طبيب يدعى بشير إبراهيم مختار إعداد تقرير الوفاة، فكان بشير حقيراً بما يكفي فقد أورد في تقريره أن الوفاة حدثت بسبب «حمى الملاريا»، تم تكليف العميد عباس عربي ضابط الامن المعروف و شخصي بتوصيل جثمان الطبيب إلى أسرته بالخرطوم، رفضت أسرة الطبيب استلام الجثمان تواصلنا مع الداخلية حسب إشارة القيادة لنا، جاء إلى مكان الحدث بالديوم حيث أهل الطبيب المتوفي نائب مدير الشرطة، فخر الدين عبد الصادق ومعه تصريح بالدفن ومن خلفه عدد من عساكر الشرطة، تم الضغط على أسرة الطبيب وإن تمنعت سوف يتم دفن الطبيب بواسطة

العساكر ولن تعرف أسرته له قبراطلاقاً، أي ذل هذا الذي كنا نمارسه ياآآآآآ الهي.

يقف الوزير غير مبالٍ بعمار باشري الذي أخذ ينظر إليه باستغراب وهو يدور في المكتب، وقف أمام الصورة التي على الحائط، ابتسم في حزن، فضل المرجي وأبودجانة وعلي عبدالفتاح نفس الملامح التي تركها بهم لم تتغير تضاريس وجوههم، ولكن تغير هو زاد وزنه وأصبح اكثرنعومة بفضل حياة الرغد التي فيها الآن، لقد تبدلت القضية.

وقف عمار باشري وأخذ ينظر إلى الوزير في استغراب، يعلم تماماً نفسيه الوزير القلقة، وفي الفترة الأخيرة أصبح كثير السرحان والنقد للحزب الحاكم، سأله في فضول:

- **في حاجة؟ مالك مهموم كدا؟**

كان السؤال من باب الفضول لا أكثر فعمار لا يكترث كثيراً بهموم الآخرين، لم يرد الوزير عليه أخذ يحدث نفسه وكأن الغرفة خالية وليس هناك أحد،

تناول عمار آخر رشفة من عصير الكيوي وجلس يتابع كلام الوزير مندهشاً من تلك الهمهمات التي لا يعرف لها تفسيراً ثم تركه وشأنه وهو يحرك رأسه في استغراب ويقول في نفسه «الراجل دا جن ولا شنو ؟!»

جلس الوزير على كرسي المكتب وسرح مرة أخرى مع الاسم والشخصية، الطبيب إبراهيم محمد خيركان يعلم علم اليقين بان الطبيب سيخه قاتل الطبيب علي فضل فقد كانا زملاء دراسة،

درس بجامعة الخرطوم كلية الطب وبنفس الدفعة،الطيب إبراهيم كان يُكن كراهية شديدة لعلي فضل بسبب انتمائه السياسي للجبهة الديمقراطية، لقد كان شاهداً، لا بل كان شريكاً في تصفية الطبيب.

جلس المجاهد السابق على كرسي مكتبة وأخرج ملفاً من الدرج كُتب عليه باللون الأحمر«طابور خامس»، كان ملفاً ضخماً يحتوي على اسماء مرتبة حسب الوزارات بالدولة، ابتداءً بالجيش وانتهاءً بوزارة الريّ.

بهذه الاسماء التي في الملف كانت المذبحة التي وقف على رأسها الطيب سيخه عقب تولي التنظيم زمام الأمور في السودان، يومها شرع الرجل في الإشراف على إعداد تلك القوائم للموظفين الكبار والصغار والسفراء والدبلوماسيين والمهندسين بالطيران المدني والنقل النهري، وبالمصالح والمؤسسات الحكومية والبنوك والفنادق وأساتذة الجامعات والضباط بوزارة الدفاع والداخلية، تمهيداً لإحالتهم للصالح العام، وإحلال آخرين موالين مكانهم وقد كان، وسمي هذا العهد في عرفنا بعهد التمكين، يااااا اللهي لقد كانت مذبحه بمعني الكلمة، يضع الوزير رأسه بين يديه، يغلق الملف وهويتذكرعدد من تم فصلهم بدعوى الصالح العام، وأخذ يتحسرعلى تلك الأيام، فلقد كان عدد الذين أحيلوا للصالح العام والطرد من الخدمة في كل مديريات السودان حوالي ٢٤ ألف من الموظفين والموظفات والعمال والضباط والجنود والدبلوماسيين، لقد كانت كارثة بل زلزالاً، يومها لم تكن كوادرنا على أتم الاستعداد لتسييرأمور البلاد، وتم زجها زجاً في كراسي قيادية وكانت المحصلة

ما نُشاهده اليوم.

يرفع الوزير رأسه، عمار باشري يغادر المكتب متجهم الوجه ممسكاً بهاتفه الجوال يحادث شخصاً لعله فيصل حسن عمر، ومن خلف سراب عمار تظهر صورة الطيب سيخه ساخرة تمد لسانها في شماته للواقع، يخاطب الوزير الصورة الخيال وكأنها حقيقة:

- لماذا قتلت دكتور علي فضل وقتلت الزبير محمد صالح؟ كيف تمت خيانة داؤود يحيى بولاد أجبني كيف قتلت بولاد؟

يفتح الوزير درج مكتبه للمرة الثانية ويخرج ملفاً كُتب عليه «سري للغاية - عملية ذات النطاقين»، يرفع الملف إلى شبح صورة الطيب سيخة ويصرخ أنا عندي إدانة كاملة لك في تصفية بولاد، كيف كان لك قلب وأنت تطيح بأكثر من ٢٤ ألف عائل لأسرة، بأي ضمير فعلت ذلك؟

الصورة الشبح تتلاشي شيئاً فشيئاً، يصرخ الوزير لا .... لا، انتظر، أجب على السؤال لماذا؟ لماذا؟ لا تذهب أنت جبان جبان جبااااااااان .... يحاول الوزير أن يمسك بخيال الطيب سيخه، و بهستيريا تتعالى ضحكات الطيب وتظهر صورة الترابي وعمر البشير على رأسه قرن شيطاني كبير، والترابي ممسكاً به يجلسه على ككر[1] كبير، فيهرب الوزير ناحية الصورة التي على الحائط، الصورة التي تجمعه مع فضل المرجي وأبودجانة وعلي عبدالفتاح رفاق المحنة والأحراش، ينظر إلى فضل المرجي وأبودجانة مترجياً، يحاول الوزير الدخول معهم في إطار الصورة خوفاً من الترابي

١ ككر: مقعد منجور من الخشب كان يستخدم جلوس المك في مملكة الفونج

والبشير، يبعده فضل المرجي منتهراً:

- أنت لست منا أنت عمل غير صالح

ينظر الوزير إلى أبودجانة باستعطاف ويقول:

- لا بل هم العمل الغير صالح هم من باعوا القضية هم من تغوطوا على الشهداء هم من قبض ثمن الدماء التي سكبت من أجل المشروع، هم من توحدوا مع الأمريكان وانبطحوا للروس

يصرخ أبودجانة:

- اصمت يا وقح دماء الشهداء رفعت الإسلام في الجنوب

يرد الوزير:

- ليس هنالك جنوب .... ليس هنالك جنوب، لقد بيع في مزاد المحكمة الجنائية وصندوق النقد الدولي

يصيح علي عبد الفتاح ومن داخل الصورة التي احتلت كل الحائط الجنوبي لمكتب الوزير:

- والميل أربعين وصيف العبور والمغيرات صبحا والدماء والشهداء الحور العين

خرجت كلمات علي عبد الفتاح مدوية كأنها رصاص منهمر وأخذ يصرخ بجنون:

- كاذب ..... كااااااااذب ..... كااااااااااااااااااذب....... خائن.

يتمعن الوزير في الصورة لم يعد له وجود داخلها أو هكذا

ظن وهو يصرخ بأعلى صوته:

- لست كاذباً ... ولا خائناً.....الخيانة الآن هي ابنة التنظيم، الكذب الآن في علاقة شرعيه مع الإسلاميين الخيانة والكذب والشعارات هي من بتر الوطن

ينزل ثلاثتهم (علي عبدالفتاح،فضل المرجي، أبودجانة) من إطار الصورة على المكتب وخلفهم يقف البشيرو الترابي ومجذوب الخليفة ويتقدمهم نافع والطيب سيخة وعلي عثمان يحملون خازوقاً لغرسه في مؤخرته التي استدارت بصورة واضحة حتى أصبحت تضاهي مؤخرة الغانيات، اتسعت عينا الوزير في رعب حقيقي أخذ يبحث عن مكان يهرب إليه، هنالك في أقصى ركن المكتب كانت تقف التاية، التاية التي قتلها برصاص مسدس أستاذ عبدالشافي الشخصي، مسدس إف إن صناعة بليجيكيا، وزنه ٦٢٥ غ بدون الطلقات، ويتسع لعشرين طلقة بعد أحداث مقتل بشير، وقفت التاية تمد يدها وتحمي قاتلها بجسدها وكان بشير وسليم ومحمد عبدالسلام وعلي فضل ومعهم حميد ومصطفي يغنون بصوت واحد:

وأطمن روعه.. وأهدّى دموعه

لبسمة بكرة اللاّها تمنى ..

ولا مصنوعة

للأطفال النازفة ضلوعه

وناشفة بغنى

أغنى لشعبي ومين يمنعني

أغنى لقلبي .. إذا لوّعني

مخيّر دربي الما رجعني

إذا طلعني دخلت القرب ..

ولا الغربة الكدروبية

تنزل غنوتي بي قمرية

أو وقّعني في بطن الجُبّْ

بطلع يوسف بالأغنية

وقف الجميع صفاً واحداً ما بين الوزير والأشباح وتراصت الأجساد تصيح: سلمية .... سلمية ضد الحرامية، و تَحُول دون الوصول إلى الوزير أخذت الأشباح تتلاشى كأنها دخان أمام بصر الوزير، وصمت المغنون باسم الوطن ومن بين الأجساد كانت صورة الطيب سيخة تبهت بلون أحمر مخلفة رماداً أسوداً داكناً، وعلى الرماد كانت صورة لآلاف الموتى قهراً وذلاً في وطن بانت معالم اضمحلاله، ينهار الوزير مغمى عليه على أرضية مكتبه.

الفصل الخامس

أنـثى من عالم آخــر

الأحداث تتصاعد وصوت منصور يضرب عليها بمطرقة من حديد وتتواتر المحطات وتتقافز الذكريات، وفيصل حسن عمر يتم تأمينه داخل منزل دكتور الطيب سيخة، الفضول وصل قمته عندي. يواصل منصور سرد ليلة من ليالي البؤس القادمة على الوطن، ويقول منصور:

- وبعد اطمئناننا على فيصل حسن تحركت مع طارق عبد الكريم إلى الجامعة للوقوف على التطورات هناك، وقبلها تم استدعاء القيادات الطلابية للتنظيم بالعاصمة القومية، وشمل الاستدعاء حتى رؤساء الإتحادات الثانوية وتم إعطاء الضوء الأخضر لعملية ما يعرف (بالصدمة)، وعلى إثر هذه العملية تم تكوين مليشيا حزبية تعرف باسم (البرق الخاطف) من طلاب الجامعات والثانويات المنتمين للتنظيم.

هكذا شرح منصور كيف تكون بدايات العهد الجديد،ويواصل منصور السرد المضنى في ارتياح سادي غريب:

- تحركنا أنا وطارق عبدالكريم ومعنا عدد من كوادر الأمن الشعبي إلى جامعة الخرطوم للوقوف على الأحداث ما بعد طعن بشير وقراءة التطورات والاستعداد لها، وصلنا في حوالي الساعة الثالثة والربع صباحاً، وجدنا الطلاب في حالة هياج شديد على قله عددهم، يحملون

بشير والدماء تنزف من ظهره، توجهوا به إلى عيادة الجامعة وهناك رفضت الوحدة الطبية كما شاهدنا استقباله بحجة أنه مضروب بآلة حادة، سمعنا اسم فيصل يتردد كثيراً. من الواضح أن هوية القاتل أصبحت معروفة لدى عدد كبير من الطلاب.

توخينا الحذر في الظهور العلني وتم دفع بعض كوادرنا غير المعروفة في وسط الطلاب، كان لابد من فعل حقيقي وواضح لدي التنظيم، موت بشير أمر واقع بل هو ضروري في تلك المرحلة التي تمر بها البلاد، ولتكن الرسالة للعلمانيين والشيوعيين أن العهد الجديد لا يتوانى في إراقة الدماء من أجل تمكين الإسلام في هذه البلاد، وتم إعداد العدة بعد أن وصل إلينا أن الوحدة الصحية رفضت استقبال بشير، وعملت على تحويله إلى مستشفى الخرطوم التعليمي، وهنالك كنا بالانتظار، وتم التواصل مع الأطباء في السلاح الطبي وتم تكليف الدكتور المجاهد محمد الأمين الجنيد بالتحرك سريعاً إلى مستشفى الخرطوم، لاحتواء الموقف ولكسب مزيد من الوقت حتي يتسنى لنا ترتيب الأوضاع، ومن مكتب الأمن بالمستشفى ومكتب المدير الطبي كانت المراقبة للطلاب وهم يحملون بشير ويدخلون به على الطبيب المناوب.

وكما هو مرتب كان دكتور الجنيد مع المدير الطبي في استقبال بشير الذي كان في مرحلة فقدان الوعي بسبب فقدانه لكثير من الدماء، تم ادخال بشير وفوراً تم استدعاء قوات من الإحتياطي المركزي التي ظلت في حالة ترقب وحذر.

ومن مكتب الحرس شاهدت إدريس يدير قوات الاحتياطي المركزي ويحث القوات على محاصرة الطلاب الغاضبين، وعند حلول الساعة الرابعة صباح الثلاثاء ٥ ديسمبر ١٩٨٩ وصل إلينا في مكتب المدير الطبي

تقريراً يوضح أن بشير قد هلك، توجهنا إلى القيادة العامة وبحضور الطيب سيخة وبعض القيادات مع ممثلي القطاع الطلابي، عُقِد اجتماعٌ طارئٌ لرسم خطة لأيام قادمة لا وجود لمتهاون فيها.

ختم منصور حديثه مع بدايات شروق الشمس بلون أحمر داكن ورائحة كريهة تزكم حتى الموتى.

أغمض عيناي على كابوس مخيف وإصرار مني على خوض تجربة منصور، كنت مفتوناً بأخي الأكبر وأري فيه شموخاً وأحاول تقليده في كل تصرفاته وقد كان.

صباح موت بشير كان بطعم الدم، وقفت أمام أستاذ عبد الشافي يومها داخل اتحاد المدرسة الثانوية وهو يخط رسالته شفاهةً لي بأن أحرك عدداً مقدراً من تلاميذ المدرسة إلى جامعة الخرطوم.

تم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه ووصلت حافلة العم مصطفى إلى جامعة الخرطوم بوابة شارع النيل، كان هناك عدد من طلاب الإتجاه الإسلامي في حشد هائل، نزلنا من الحافلة وسط صيحات التكبير والتهليل والأناشيد الجهادية، وامتزج تلاميذ الثانويات مع طلاب الجامعات وبعض كوادر التنظيم، ومن الناحية الأخرى كانت الجامعة تغلي وتهدر بأصوات العلمانيين والشيوعيين والمعارضين للمنظومة الجديدة، شاهدت مدير الجامعة يومها بالزي العسكري وهو يرفع سبابته ويطلق تكبيراته محمساً الحشود، ثم وصلت أعداد كبيرة من سيارات الإحتياطي المركزي.

«الجامعة جامعة حرة والعسكر يطلع برة

مقتل طالب مقتل أمة»

هكذا كانت هتافات المناهضين لمشروعنا ...

أخي منصور من على البعد ومعه رهط من المجاهدين يقومون بتوزيع السيخ على الكوادر، دخلنا إلى الجامعة وسط هستيريا القطيع إنها معركة النصر، وفود من الطلاب تترى على جامعة الخرطوم السنتر، الطلاب المناهضين لنا أيضاً في هستيريا القطيع، شارع المين تحت رحمة الغضب البركاني، تلك المظاهرة الطلابية إذا قُدّر لها أن تتجاوز حدود الجامعة فمن المرجح أن تلتف حولها كثير من فئات المجتمع، هكذا كان الحديث من أحد قيادات التنظيم، أمراء المجموعات ينظمون كوادر التنظيم الإسلامي في صفوف عسكرية.

رئيس اتحاد الجامعة يومها حمدي خليل مرتدياً الزيّ العسكري يقوم بالتوجيه والإشراف المباشر علينا.

كان من الواضح أن رابطة كلية الآداب التي ينتمي إليها بشير هي المحرك الفعلي، ففي نجيله آداب كانت هناك مخاطبة طلابية حاشدة خاطبها أحد الطلاب ويدعى على ما أذكر سليم أبوبكر، وفيها تم الإعلان عن تسيير مسيرة سلمية لتقديم مذكرة لدار القضاء منددة بمقتل طالب داخل الحرم الجامعي وتستر إدارة الجامعة والإتحاد عليه، وعند تحرك الموكب الطلابي تم اعتراضه من قِبل قوات الإحتياطي، وتجمع الطلاب مرة أخرى داخل الجامعة، وأعلنوا الخروج إلى الشارع، كنا نتابع الموقف من خلف مباني الإدارة وهناك ارتكز مجموعة تلاميذ الثانويات، كنت وقتها أمير المجموعة، في انتظار الإشارة لدخول معركة تأديب الشيوعيين والعلمانيين، كم كنت مراهقاً يومها، تسلح أغلب التلاميذ بالسيخ والجنازير و العصي و بعضهم بالأسلحة النارية، كان يوم الحشر، تتعالى أصواتنا بين كل لحظة والأخرى مبددة حالة التوتر التي تجتاح المكان،

رائحة البمبان والموت ترفرف فوق سماء الجامعة، إنه يوم التغابن.

فجأة ومع توتر الأحداث وتسارعها تحركت جموع الطلاب الغاضبة في اتجاه الشارع، جاءت إشارة الاشتباك، وقف مدير الجامعة على نافذة مكتبه التي تطل علينا وأعطى إشارته في شكل أمر بالبدء، من ناحية بوابة الجامعة ا لرئيسية انفتح الجحيم، اليوم هو السادس من ديسمبر ١٩٨٩م اخترقت قوات الأمن سور الجامعة مدججة بالسلاح وقامت بإطلاق الرصاص الحيّ على الطلاب الموجودين في الطريق بين كلية الاقتصاد ومدخل النشاط، وكان صوت الرصاص واضحاً وبنفس الخطة الموضوعة سلفاً، وهي وضع الطلاب داخل كماشة، تراجع الطلاب نتيجة إطلاق قوات الأمن النار بشكل عشوائي، كنا قادمين من الخلف نسدد الطعنات القاتلة للمتراجعين منهم.

رجع الوزير إلى واقعه المرير ارتجف بقوة وهو يلعن نفسه ألف مرة، انهمر دمع غزير من عينيه، هل هذا ندم أم صحوة ضمير متأخرة؟ أخذ ينظر في المجهول، كيف يقتل نفساً بكل هذا البرود؟ هو قاتل نعم قاتل، ما زالت تلك الأحداث ورغم كل تلك السنوات أمامه كأنها مشاهد حية، كان الهدف سليم الطالب الذي خاطب الطلاب، صورته رسمت في أذهان كوادرنا أصبح هو الغنيمة المرجوة بسبب حماسه الظاهر، عندما أعطى مدير الجامعة إشارته الشهيرة للتحرك كانت صورة سليم تتجول بيننا، إنه أميّة بن خلف لا نجونا إن نجا، انهمر رصاص الشرطة من بوابة الجامعة وتراجع الطلاب، يومها أخرجت مسدس عبدالشافي، ارتكزت خلف شجرة اللبخ العتيقة وصوبت المسدس تجاه جموع الطلاب الهائجة، وصوت الرصاص يزيد من التوتر، ومع الهرج وجدت نفسي وجهاً لوجه مع طالبة من الجامعة عرفت فيما بعد أن اسمها التاية ابوعاقلة الطريفي، هكذا

اسمها الكامل ولدت ونشأت في قرية نور الجليل بمنطقة الدندر ولاية سنار، تلقت تعليمها الإبتدائي بها، إلى أن تم التحاقها بكلية التربية جامعة الخرطوم، نظرت إليّ بفزع لم أدري ما حصل وجهت السلاح إليها وضغطت على الزناد، ابتسمت لي نظرة لم أدرِما كنهها، انفجرت الدماء من عنقها، ظلت في ثباتها مثل وطن، حتى الوطن برك أمامها، أخذ جسدها في التهاوي و مع كل تقارب لجسدها يظهر شق ضخم يبتلع كل المُثُل والقيم في هذه البلاد، إلى أن تكومت وردة بيضاء على الأرض، حولها رفرف الدم أحمراً فاتحاً،خرجت أنفاسها فراشات بمختلف الألوان، انبثقت من جرحها سنابل القمح وفوق كل حبة سبعين حبة، تصببت عرقاً غزيراً وأنا استعيد ما قصهُ لي منصور ليلة أمس، وإصراري على خوض تجربته، لقد تفوقت الآن على مثلي الأعلى وأصبحت قاتلاً، لم أعِ الحدث، كنت ممسكاً بسلاحي أنظر إلى أولئك النفر من الطلاب الذين حملوا قتيلتي، كان وجهها مائلاً نحوي وتلك النظرة التي لم تفارق خيالي أبداً، كان فيها عتاب واضح وشفتيها رسمت ابتسامة تسامح، نظرت إليّ مودعة، كانت تلوح لي بيدها سمعت صوتها همساً على أذني (مسامحاك)، فقت مما أصابني على يد مصعب عثمان وهي تقبض عليّ وتشدني كي اتحرك بعد أن تسمرت في مكاني من مشهد الدم الذي وشّح الأرض، تحركنا مع عدد من تلاميذ الثانويات صوب كلية العلوم، وفي هذه الأثناء كانت مصادفة أقرب إلى الخيال، فعلى بعد أمتار منا -بشارع المين- كان يقف سليم، نعم نفس الصورة (أمية بن خلف) التي كانت محفورة في أذهاننا، فجأة ترنح سليم في مشهد تراجيدي ومن خلفنا كانت صياحات منصور بهستيريا واضحة بأن نتحرك، التفت إليه كان مصوباً سلاحه نحو سليم ويطلق النار على الجموع صارخاً فينا، يحثنا على الدخول إلى مكاتب الإدارة بعد أن اجتاحت قوات الاحتياطي المركزي الجامعة، وأصبحت الساحة تحت تصرفها، حُمل

سليم على أكتاف المفزوعين من الطلاب واحتمينا أنا ومصعب بمكاتب إدارة الجامعة وتم ترحيلنا بعدها إلى منزل أحد القيادات، سقطت التاية وسقط سليم وتململ والدي السكيّر في قبره، كان مدمن خمر لم يكن قاتلاً، الآن أبناؤه قتلة مرتزقة، عرفت من منصور فيما بعد بأن قضية التاية وسليم قيدت ضد مجهول.

انقطع حبل الذكريات المرير للوزير على صورة باهتة للتاية في فضاء المكتب كانت الأحداث وكان المهر الدماء.

الفصل السادس

الأفعى أخت الثعبان

يفيق الوزير من إغماءه على يد تطبطب عليه بحنية، كانت يد هيفاء، وجد الوزير نفسه مسجى على الكنبة التي ضاجع بها سكرتيرته قبل قليل، وقف الساعي عم عبده بوجهه القبيح وذقنه التي اجتهد فيها حتى صارت مثل ذقن سيّدِه، هذا الساعي كثيراً ما يذكره بالسنوسي في تشبهه المثير بالشيخ، نظر الوزير إليه في إشارة أن ينصرف فهو لا يطيق هذا النفاق، كانت أنفاسه متعبة ووجهه مكفهر، وضعت هيفاء يدها على جبين الرجل راسمة ابتسامة بلهاء على شفتيها، لم يعرها أي اهتمام فقد تذوق تلك الفاكهة من قبل، مثلها ومثل كثير من العاهرات باسم المشروع، يحاول الوزير أن يقف على قدميه فتمنعه هيفاء من بذل أي مجهود.

تقول همساً وفي عينيها شيء من الريبة:

- الحاصل شنو مالك؟ شكلك مرهق وبتكلم نفسك كتير، حتى أنا وعم عبده استغربنا صراخك في المكتب وحدكك بعد ما خرج عمار.

نظر بطرف عين إلى الصورة على الحائط، كانت كاملة التفاصيل، فضل المرجي أبودجانة علي عبدالفتاح، توسط الوزير علي وفضل المرجي، كان أبودجانة يسار فضل المرجي يرتدي لباساً

من الدمور، ثلاثتهم كانوا بالزي العسكري، علي عبدالفتاح الذي يُظّهِرُ حماساً طاغي للمشروع .... وقصائده في حب الشهادة، هل كانت شهادة في سبيل الحق؟ نظر إلى سقف المكتب إضاءة المكتب معتمة قديمة مثل المشروع الذي أحال الوطن إلى خراب، هيفاء تضع يدها عليه مرة أخرى ينظر إليها ببرود، تخفض رأسها وتقف، هي الآن تدري ما يجول بذهن الوزير، «لست بعاهرة، سلمتك نفسي نعم، دون رابط شرعي» هكذا قالت في نفسها، وكان الوزير يقرأ ما يدور في خلدها يردد بينه وبين ذاته دون أن يحول نظره اليها: «ليس هنالك فرق كل الوطن عاهر كل البلد مومس انت عاهرة سلمتيني نفسك من أجل المال، فقط المال تركتي عشيقك ورضيتي أن ترتبطي برجل يكبرك بعشرين عاماً من الإحباط، أليس من أجل المال؟»، هو يعلم أن لهيفاء عشيق منذ ما يقرب الخمس سنوات سافر إلى بلاد من قال فيهم كتاب الله الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، بل كنا نحن أشد من الأعراب في النفاق، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، هيفاء خريجة تلك الجامعة التي كانت في وقت سابق منحة من دولة مجاورة، ومع بداية المشروع تم أخذها وتحويل اسمها إلى مسمى محلي يشير إلى النيل العظيم، لم تكن لهيفاء أي موهبة خلاف جمالها وجسدها فهي حتى لا تتقن العربية وقواعدها ناهيك عن اللغات الأخرى، لم تكن لبِقةً في حديثها، كانت كثيرة التبسم لتظهر صف أسنان ناصع البياض وشفتين مثيرتين مائلتين للاحمرار، ولهيفاء فخذين يضعف أمامهما أقوى الرجال، كانت تعلم أن كل ما لديها هو جمالها فقط لذلك باعت نفسها لأول مشترٍ، رجل له زوجتان وعشيقة، الثانية كانت في نفس وظيفة هيفاء، و كيف يكون

البغاء غير ذلك، المال المال سيدتي، السلطة عزيزتي هي من تنحني لها مؤخرات النساء وترفع أرجلهن إلى السماء تضرعاً وخيفة.

يا إلهي كيف لمثل هذه الأفكار أن تدوم في الواقع لثلاثين عاماً، خرج الوزير من تساؤلاته تلك على يد هيفاء تحيط به من الخلف، وتضع رأسها على ظهرة المحني من هموم الذكريات، استكان الوزير لهذا الوضع، لم يدركم مضى من الزمن حتى تفاجأ بباب المكتب يُفتح بطريقة عشوائية ويدخل عمار باشري وفيصل حسن عمر، وقف عمار أمام باب المكتب مبتسماً بسخرية لذلك المنظر الرومانسي ومكيف الهواء يرسل عطره الماجن صناجاً نتناً في تلك الغرفة النجس، لم يحرك الوزير ساكناً بل نظر إلى فيصل و باشري وخلفهم كانت تبدو ملامح فتاة يعرفها جيداً، رفعت هيفاء رأسها في خجل من على ظهر الوزير و هي تنظر إلى الأرض، خرجت سريعاً تتحاشى النظر إلى القادمين، تابع عمار و فيصل النظر إلى مؤخرة هيفاء بجراءة وقحة، بعد أن أفسحوا لها طريقاً ضيقاً للعبور، دخل ثلاثتهم وعلى شفاه عمار و فيصل ابتسامات خبيثة ونظرات ذات معنى تنخر قلب الوزير الذي قابل كل ذلك ببرود.

جلست الفتاة على كرسي منفرد، الآخران فضلا الجلوس على الكنبة الشاهد على تلك اللحظات الشبقة، نظر المجاهد القديم إلى الفتاة مطولاً هذا الوجه يعرفه جيداً، أخذت الفتاة تجول بنظرها في المكتب وعلى فمها ابتسامة ساخرة، وقفت على تلك الصورة التي على الحائط:

- الظاهر إنك لسه ما نسيت أصحابك

هكذا كانت أول كلماتها وفي عينيها استنكار و ريبة، بل هو امتحان، وكأنه سؤالٌ استنكاريٌ لا ينتظر رداً.

أشاح الوزير بوجهه عن الصورة يستعيد هذا الصوت الذي خرج من الفتاة، إنه يعرف من هي، صاحبة الصوت قريبة جداً منه لكن من تكون؟

ما عرفتها؟ دي نوال أخت علي عبدالفتاح!

نظر الوزير إلى عمار باستغراب بعد رده المقتضب هذا، ثم تدارك نفسه سريعاً قائلاً: نوال لاحولاااا...

عاد الوزير ببصره اتجاه نوال، فتاة في أواخر الثلاثينيات من عمرها، سمراء الوجه شاحبه، بملامحها تلك أقرب إلى علي عبد الفتاح باستثناء رباط الرأس والشعر.

يا سبحان الله يبدو أن الزمن قد مضى سريعاً نوال تلك الصبية اليافعة، الآن في صورة امرأة مترهلة أكل الدهر عليها وشرب، كيف ينسى تلك الجارية الصغيرة أخت صديقه علي عبدالفتاح، عندما يعودون من الجنوب أيام الجهاد الأولى كانت نوال حاضرة دائماً بصالون أسرة عم عبدالفتاح، صغيرة خدومة كم كان علي يحب اخته الصغيرة تلك، من صغرها كانت تغطي رأسها، الآن نوال أنثي بل هي كتلة من اللحم المترهل، ياااااالله لقد مرت السنون ورسم القدر تفاصيله على البشر كم هي قصيرة رحلة الحياة تلك، وقف الوزير مُرحباً بنوال أخت صديقه القديم.

استغرب الوزير علاقة عمار وباشري بنوال وفضل عدم

السؤال إلا أن فيصل عاجله بما يمكن أن نسميه إجابة، بعد أن لمح نظرة الشك في عينيه:

- نوال شريكة معانا في مشروع التنقيب عن الذهب في الولاية الشمالية وعندها شركة تستورد مادة السيانيد والزئبق من أوربا واجتماعنا الآن عشان....

رسم فيصل ابتسامة مجاملة واضحة على شفتيه غيرت من محياه بعد أن نظر إلى عمار كأنه يستجديه أن ينقذه من ما هو مقبل عليه، تدخل عمار فوراً برعونة معهودة وحماس قديم يتنافى مع سنه وقام بفتح الخرائط التي أمامه مشيراً إلى مدينة بورتسودان وهو يقول:

- إنت عارف أن المنطقة دي -ووضع المؤشر على منطقة محددة تبعد عن المدينة المشار إليها حوالي ٢٢٠ كلم-تعتبر حقل مهم للتعدين والحصول على الذهب و شركة أرياب للتعدين وهي الشركة الوحيدة المحتكرة التعدين في المنطقة دي و......

نظر الوزير إلى عمار نظرة ذات مغزى ثم استطرد قائلاً:

- محتاجني في شنو يا عمار؟

ابتسم عمار لهذه الصراحة من الوزير تراجع مسنداً ظهره إلى الكنبة وقال:

- شـريـك ....

- شريك في شنو؟! قالها الوزير باستغراب

ردت عليه نوال بقوة:

- في المشروع وبنسبة ٢٪ وعليك التمويل والإجراءات الحكومية وأخذ قرض من البنك.

تمعن الوزير في الوجوه أمامه ثم ابتسم ساخراً

- آخذ القرض واعمل الإجراءات والنسبة ٢٪؟

وقف الوزير غير مبالٍ بمن هم خلفه ووقف أمام الصورة الكبيرة وذاكرته ترجع إلى يوم ضمانته لنوال في حادثة الشيكات المرتدة التي دخلت بسببها سجن النساء، كان المبلغ يومها يفوق ال ٩٠٠ مليون جنية سوداني بالقديم، بعد أن دخلت في شراكة مع نفر من أهل المشروع استغلوا اسم أخيها كأحد أبرز المدافعين عن النظام، غدروا به وتملص الجميع منها وتركوها وحدها تدفع الثمن، يومها سدد هو مبلغ ٣٠٠ مليون وفاء لصديقه القديم بعد أن ظلت رهينة الحبس مدة من الزمان.

تحرك الوزير صوب المكتب وفتح الكمبيوتر الخاص وبحث عن ملف الأغاني الجهادية تلك التي كانت تنشد في فترة سابقة، وضغط على اسم علي عبد الفتاح في تلك القصيدة المشهورة والتي كانت ترددها كتائب الدفاع الشعبي (ثم ماذا بعد هذا)

انبعث صوت علي عبد الفتاح عبر السماعة الخارجية للجهاز وسط دهشة عمار وفيصل حسن عمر الذي وقف ممانعاً لهذا السلوك في وجود اخت الشهيد، اغرورقت عينا نوال بالدموع وتحركت خارجة من المكتب يتبعها فيصل منادياً باسمها، أخذ

الوزير يضحك بجنون ويقول:

- القصيدة دي عندك زيها لمن كنتي في السجن يا نوال ما تقوليها لينا، أنا حافظها أقولها؟ اسمعها ليهم؟

وقف عمار باشري مبهوراً من المشهد و الوزير يبدو عليه الجنون، يضحك بهستيريا و يخاطب عمار:

- إنت عارف لمن نوالِ كانت في السجن قالت وعلى نفس وزن القصيدة دي شعر تذم فيه المشروع

وأخذ الوزير يردد ما نظمته نوال وبنفس طريقة علي عبدالفتاح المعهودة:

ثم ماذا لوقتلنا الخوف فينا؟

وعلى هدى الله التقينا

ثم ماذا لو جعلنا الكلب عسكر؟

وجمعناهم كتائب في معسكر

ومنحناهم نجوماً وشرائط

وصقورا

ثم نطقوا الله أكبر

ثم ماذا بعد هذا؟

ثم ماذا بعد هذا؟

إن للكلب وفاء.. لا يغيره كوم لحم أو جنيه ..أو رطل سكر

ليت صار الكلب عسكر

نرشحهم للرياسة والكياسة

كلب صيد وحراسة

وأساطير كثيرة

إن عصانا ذات مرة

إن آخره رصاصة

ليت صار الكلب عسكر

فالعسكر المسعور (أشتر)

صرخ عمار باشري:

- كفاية كفاية إنت مجنوووون بالجد إنت مجنون

وقف الوزير وقال بصرامة:

- اطلع برة المكتب دا يا حقير، إنت قاتل وحرامي ولسه عايز تلبع ولسه بتفتش عن القروش يا وقح؟

تجمع عدد من موظفي المكتب على الباب ووقفت هيفاء واضعة يدها على خدها مندهشة من هذا الصراخ.

رجع فيصل حسن عمرو وأخرج عمار باشري سريعاً وهو يقول:

- الواضح جد إنك زودتها كتير صدقني الموضوع دا ما ح يتفوت نهائي.

ضحك الوزير بسخرية وقال :

- يفوت... الفات كتير يا مجاهد يا مقاتل، الفات بشير الكتلتوا من ٣٠ سنة تتذكر تتذكر بشير يا فيصل؟

وقف فيصل وعمار وأخذا ينظران إلى الوزير باستغراب وهو يواصل،

- ومحمد عبد السلام يا عمار، أياديكم ملطخة بالدماء يا قتلة

تقدم الوزير ناحية الاثنين وضرب بيده بقوة على خد عمار باشري الذي أرهبته الصفعة فخرج جرياً ومن خلفه فيصل.

يبدو أن الوزير قد جن فعلاً.

صرخ الوزير في وجه الموظفين آمرهم بالانصراف، وقفت هيفاء جاحظة العينين دخلت وأغلقت باب المكتب من خلفها.

نظر إليها الوزير بقرف:

- عايزة شنو إنتي........ أطلعي برا ..... برا....

انهارت هيفاء وطن بلا دموع، كانت تعرف بأن دخولها في عالم

السياسيين سوف يجرعليها أحزاناً شتى، ولكن مالم تتوقعه أن يكون الحزن بيتاً لها فكوادر النظام يتوضؤون على دماء الشعب، لقد اغلق ستارنهاية المشروع، مسرحية سمجة.

الفصل السابع

صلْب الرسول الأسمر

خرجت هيفاء من مكتب الوزير وهي تمسح دموعها بعد أن أمرها بالخروج من المكتب كما شجعها على تقديم استقالتها قائلاً:

- أفضل إنـك تقدمي استقالتك فوجودك في المكتب شبهة لـي

لم تتحمل المسكينة الصدمة وقفت فترة لتستوعب حديث الوزير الذي كرر الطلب بصرامة:

- اعتقد إنـك سمعتيني كويس، قدمي استقالتك وما تجي المكتب دا تاني. فالواضح إنو عمار وفيصل حيكونوا مراقبين تصرفاتي في الفترة الجاية ويا ريت ما تتصلي علي نهائياً

أدخل الوزير يده في درج مكتبه وأخرج رزمة من الدولارات وعينا هيفاء تزداد اتساعاً من الصدمة، مد الوزير بالرزمة إليها:

- عشان أكون منصف معاك دا حق الدقائق الكنت فيها معاك.

لم تتحمل الفتاة كل هذا فهرولت باكية خارج المكتب وهي ترتجف مثل حمامة مذبوحة، الآن تم وضع ختم عاهرة بالمعنى الحقيقي عليها فهي في عرف الوزير فتاة ليل.

جلس الوزير على المكتب واضعاً رأسه بين يديه، ينتابه صداع عنيف وتجتاحه ذكريات الماضي التي تطارد حياته، تمر العديد من القصص المحزنة المخزية، هذا ما شاهدتُه وعاصرتُه، هذا ما سمعتُ عنه، والرعب فيما نُقل إليّ، وما فُقد مع رياح المشروع التي عصفت سموماً على البلد، وما وراء ذاكرتي تتفتح حدائق الشيطان وورود كريهة الرائحة، إنها قصتنا، قصة مشروعنا الوعد، قصة صياغتنا لوطن بحضارة سبعة ألف عام.

كيف صرنا، مشروعنا دولة الرسالة، المجاهدين، حرب الجنوب، الشهداء والحور العين، جئنا من تراب هذه الأرض وتنكرنا لها، وعبر أيامنا القديمة وخلال سنوات ما قبل التمكين كان حلمنا متعقباً حياتنا فنحن سلالة الشيطان.

خرج الوزير من مكتبه بلا هدف بعد وضع مسودة كتب فيها مذكراته واختار نهايته التي تكون بانتحاره على أن يرسل المسودة على الإيميل إلى هيفاء في محنتها تلك. تربع على سيارته الفارهة والتي تحكي فساد الوطن، أشباح الهائمين في الطريق، الزومبي شعب السودان، امتطى المجاهد صهوة الماضي، شارع الجامعة البوابة التاريخ، وبدون وعي وجد الوزير نفسه بمجمع الداخليات وحوله عدد من الطلاب ينظرون إليه بريبة وفضول، ترجل من الفارهة، سيل جارف من أيام التمكين الأولى يتخبط داخل رأسه، نظر ناحية داخلية المنهل، وهو يصرخ:

- يااااا ربي

صورة عمار باشري تحتل الحيز الأكبر الآن، إنه على أعتاب

الجنون، الطلاب ينظرون إليه في حذر، كائن غريب يمشي وسطهم، عكست مرآة اللاند كروزر صورته، ما هذه العيون؟ بقعة حمراء في سواد الجفون، لأول مرة يلاحظ ملابسه المتسخة وربطة عنقه الملفوفة عليه مثل حبل المشنقة، داخلية المنهل تعيده إلى ذلك اليوم المشؤوم، استند واقفاً إلى مقدمة السيارة وهو ينظر داخل ذاكرته المريرة، إنه يعاني عذاب الماضي، يدلف في جُبّ السنين، العام ثمانية وتسعون مكتب وزير التعليم العالي إبراهيم أحمد عمر مهندس نظرية ثورة التعليم، أحمق هذا الرجل لم يكن يطيقه، لم يمضِ على تخرجه من تلك الجميلة ومستحيلة والتي تحولت إلى خراب في عهد التمكين إلا أعوام، توقف قطارالهم عند تلك الأيام، محطة صندوق دعم الطلاب وداخل مكتب إبراهيم أحمد عمر كان النقاش حول خصخصة خدمات الطلاب وتحويلها إلى الصندوق، أقر الاجتماع يومها بأن يفرض على أي طالب يستفيد من خدمة الجامعة في المسكن مبلغ خمسة وعشرون ألف جنيه سوداني. ضم الاجتماع عدد من قيادات التنظيم لتكوين ما يعرف بمقررات ثورة التعليم العالي، ملعونة تلك العقول منذ الأزل، ملعون المشروع منذ التكوين.

همهم الوزير و هو يرتقي درج داخلية المنهل وسط نظرات الطلاب، على قلتهم تجمع عدد منهم متربصين ومراقبين، وزير أشعث أغبر في منتصف نهار يوم من أيام شهر أغسطس، لا يبالي الوزير بمن حوله، ترجع ذكرياته إلى ذلك اليوم المشهود والمشروع في عنفوانه الأخير من العشرية الأولى والعبقرية تتَفَتَّقَ لتخرج فكرة الصندوق، كانت عقولنا تندلق بالأفكار فيلتقط الوطن قاذورات بحجم الخراب، لم يكن مشروعاً رسالياً كانت تراجيديا محزنة،

وقف الوزير على سطح داخلية المنهل في تلك المنطقة التي تم إيقاظ محمد عبدالسلام فيها من ثباته ومن ثم ضبطه على وضع الموت عمداً، و من خلف صهريج المياه العتيق خرج محمد عبدالسلام وهو يرتدي نظارته الطبية بعد أن مسح عدساتها بطرف قميصه، تربع الوزير على أرضية السطح،

أشعه شمس أغسطس لهيب الأزمات وضياع الفكرة...

وقف محمد عبد السلام أمامه مباشرة ونظر في عيني الوزير الجالس على مؤخرته وقال:

- لــيه عملت كده؟

أشاح الوزيـر ببصره عنه ووقف مرتبكاً:

- عملت شنو؟

- وشيت بينا؟

- وشيت بيكم كيف؟

- لـــسه تكذب؟ لسه بتبرر الوسيلة بالغاية؟ وشيت بينا وأشرت لي كوادر الأمن بأسامينا وساعدتهم على اعتقالنا.

أشاح محمد عبدالسلام بوجهه عنه وتحرك إلى ظل عرش الرحمة الذي ناله بحبه للوطن ووقف هنالك، لم يستطع الوزير أن يستظل بظل الوطن الذي خانه من أجل المشروع، أصبح مصلوباً على أشعة شمس القهر، نزل عرق ذنوبه من أخمص قدميه إلى غرة صلاته، ذابت الدهون وتكاثرت الخطايا إنها ليلة العشاء

الأخير، عمار باشري يهوذا الإسخريوطي، لم يكن المسيح بيننا فقد تم صلبه من أجل وسادة، محمد عبدالسلام يسوع الاسمر حمل صليب المطالب من أجل حياة الآخرين في الداخليات، الآن على صراط الوطن المستقيم يعبر إلى هناك مثل البرق، يدخل جنة النفوس الراضية، الوزير يتوضأ بقيح ما يخرج من فروج الوزراء في مكاتبهم ليصلي صلاة النفاق ثلاثون ركعة أو يزيد، بطعم حنظل سنوات المر في حكم الوطن.

يستطرد الوزير قائلا:

- نعم أنا وشيت بيك أخبرتهم عن مكانك كان لازم لازم تموت أنت وأمثالك من الشيوعيين والعلمانيين كان لابد لمشروع الإسلام أن يمتد.

ابتسم محمد عبد السلام ساخراً:

- عن أيّ إسلام تتكلم؟ وعن أيّ دين؟ أيّ مشروع يمتد؟

إنت عارف أن الدين في عهدكم يُخلع على عتبةِ المسجد ثم تنتعلَون أحذيتكم الفاخرة وتخرجون إلى دنيا الوطن مندفعين تأكلُون مالَ هذا، وتنهشُون عرض ذاك، يواصل محمد عبد السلام منفعلاً.

يا سعادة الوزير اللحى التي تزينون بها وجوهكم ما هي إلاّ متاريسَ يختبئ خلفها لصوص مشروعكم وحتى العباءة السّوداء التي فرضتموها على نساء هذا البلد الأمين ليس تحتها امرأة عابدة وإنما عوز الحاجة وقهر الحاكم، مشروعك فشل، حتى جهادك وحربك خسرتها بل صلاتك لم تكن إلا مظهرا أنيقاً للخداع وأكل

مال الناس، التعامل مع الآخرين التعامل سعادة الوزير هو محكُّ التّديّنِ الصحيح....

ومع آخر كلمات محمد عبدالسلام أخذت صورته تتلاشي شيئاً فشيئاً وسط صرخات الوزير «انتظر ما تمشى ..... انتظر......»، ولكن هيهات فقد أخذت الصورة تتكاثف وتحولت إلى مزن ناصع البياض حجبت أشعة الشمس فكانت ظلاً للوزير، فنزل طل خفيف أخذ يلثم وجه الوزير برداً وسلاماً.

انهمرت دموع الوزير غزيرة واختلطت بما ينزل عليه من رحمة المقهورين، انهار المجاهد السابق وذكرى الأحداث تتسابق أمامه تياراً يتدفق بسرعة شديدة، ذكريات قطرة واحدة من الأحزان، من الدم، ثم قطرة أخرى وهكذا حتى تحول الماضي إلى سيل جارف لا يمكن مقاومته يحطم كل محاولة للتوقف عن التفكير، يتدفق عواصفاً تدق مسمار الأسى على مؤخرة الوطن فلا يستطيع الجلوس أو الوقوف، ألم لا يُحتمل، بقاؤه عذاب وخلعه انتحار، وتحت سحب الهموم التي تراكمت يكون عذاب الضمير، فقد عرف محمد عبدالسلام ود قانون وكادر الشيوعيين، وكان يكن له كرهاً وحقداً، لماذا يكرهه؟ نعم لماذا كرهت محمد عبدالسلام هو لا يدري كُنه الكراهية تلك، ولكن اعتقد أنه الخلاف التنظيمي، فقد رُبينا وأُرضعنا الكراهية والحقد، هذا هو حال تنظيمنا، و منذ العام الأول الذي ظهر فيه محمد عبدالسلام كادراً للجبهة الديمقراطية امتزجت أمشاج الكراهية فأخرجت جنيناً مشوهاً، تغذى عن طريق مشيمة الحقد والعنصرية إلى أن وصل العام ١٩٩٨م و في كلية القانون التي كان يدرس فيها، وضع

التنظيم تلك الشخصية تحت المجهر، يومها كلفت النيل ومرتضى الأمين بإعداد تقرير كامل عن محمد عبدالسلام، أذكر منه أن محمد عبدالسلام من أبناء مدينة ود مدني مواليد ١٩٧١ درس الإبتدائية بمدرسة الدباغة والمتوسطة بمدرسة الهوارة والتحق بمدرسة مدني الثانوية ومنها إلى جامعة الخرطوم ١٩٩٥م، والده عبد السلام بابكر ترزي بالسوق الكبير بود مدني، الأشقاء خمسة بابكر، أنهار، عمر، إنعام و إيمان. كان محمد أكبرهم، كما تم إدراج علاقته العاطفية وتحصيله الأكاديمي مع محاولة معرفة موقعه في التنظيم، جمعنا كل تلك المعلومات وأكثر منها وخرجنا بأن المستهدف لا يمكن محاصرته إلا بالتصفية.

نزل الوزير من على الدرج تحرك بين ممرات الداخلية التي أصبحت عبارة عن خراب سجن كبير، لم تكن داخلية اطلاقاً تصلح لسكن البشر ناهيك عن طلاب يرجى منهم الكثير لبناء الوطن، لم يعطِ الوزير تلك الأعين الناظرة أي اهتمام، كان الهمس بين الطلاب اليافعين يصل إليه:

- دا منو؟!!

- دا أكيد عميد شؤون الطلاب.

يرد آخر وبصوت عالٍ:

- دا واحد مخبول مجنون بفتش ليهو عن غلام، عاين لعينه، أكيد صقر و عايز ليهو جعبة طرية.

توقف الوزير برهة، هل ما سمعه حقيقي أم خيال؟ الآن هو في داخلية تجمع طلاب جامعات، كيف لتلك اللغة الغارقة في

القاع أن تجد طريقها إلى هذه المنطقة، نظر إلى صاحب الجملة الأخيرة، وجده شاباً في حوالي العشرين من العمر، ملتحي، أشعث، يرتدي بنطال جينز ضيق ينزل من على وسطه، وتي شيرت بأكمام قصيرة تسمى «أديني حقنة» .....يالله إنها نفس بلوزة سلوى التي كان أخوه يمنعها عن ارتداءها عندما يكون بالمنزل، الآن يرتديها شاب وأين؟ داخل الحرم الجامعي؟ ياااااا للهول ماذا فعلنا بهذا الجـيـل؟

انصرف الـوزيـر سـريعاً بعد أن غمزلـه الفتى بعينه اليسرى وأطلق قبلة في الهواء وقال:

- شكلك يـــامان عايز غلمان مثل اللؤلؤ المنثور من غرة صلاتك دي

تسارعت خطى الوزير تضرب أرض الوطن محنة وهو يرى ما وصل إليه مشروعهم الحضاري كيف يتسنى لهذا الشاب أن يحدثه هكذا بكل تلك الوقاحة، ليس هناك تفسير خلاف أن عدداً من الكهول يبحثون عن متعة الغلمان في تـلك المنطقة، والشاب ليس إلا قواد كبير للأولاد، وهو في تلك الحالة وصل إلى حاسة شمه نباء غريب مـا تلك الرائحة ياااااربي؟ الرائحة تحملها رطوبة الداخلية بين الممرات، يتوقف يختلس النظر إلى إحدى الغرف، يتتبع رائحة المكان إنها رائحة بـــنقو، نعم رائحة بـــنقو، بل هو مؤكد، تزداد سطلة الوطن مع تقدم الوزير إلى داخل الغرفة المعتمة، يتسلل ضوء خفيف عدد من الشباب حوالي خمسة يتمددون على الأرض في شكل حلقة صغيرة، يدار بينهم كأس الندامة تحية لوطن الجدود وسيجارة ملفوفة بعناية تتنقل بين

الأفواه التي تمتص رحيق المستقبل القادم، لم ينتبه أحد منهم للقادم الذي وقف مصدوماً وهو ينظر إلى حفلة التيس هذه، وعلى أرضية الغرفة كانت بعض أوراق الصحف اليومية مرمية بإهمال وعليها صورة التيس الراقص ملوحاً بعصاه الآبنوسية، حالة سُكر ممزوجة بحالة فقدان للوعي في انتظار تغيير قادم يقوده الطلاب، هكذا تم تكسير شوكة الحركة الطلابية، الآن نجح المشروع في ضرب المناهضين بأن جعلهم خارج إحساس الإنسانية، فالثوار يحبون الورود ولكنهم يحبون الأرض أكثر وهؤلاء خارج نطاق الحب، فالحياة حلم توهج في الخطيئة والوعي وعي الغياب وهم بلا وعي.

يااااللهي... ألهذا قتلنا محمد عبد السلام، من أجل ذلك تمت تصفيته؟ تراجع الوزير وهو يعيد تلك الليلة التي تم فيها اعتقاله وهو على مشارف التخرج، كان محمد عبد السلام في السنة الرابعة قانون عندما أجهضنا حلم والده، وصل الوزير إلى سيارته جلس على مقعد القيادة أدار المحرك وهم بمغادرة المكان، لم تعد تلك الأعين التي كانت تنظر إليه بفضول تعيره أيّ اهتمام.

- تمهل عايز تهرب مش؟!

التفت الوزير لا أحد، من أين ينبعث هذا الصوت يااااربي لست بمجنون هكذا قال لنفسه.

فجأة تكونت صورة محمد عبد السلام على المقعد المجاور له، هُلع الوزير وهو يرى ود عبد السلام للمرة الثانية، واصل محمد حديثه:

- الموضوع ما كان مرتبة ولا كان تحدي لقرار إدارة الجامعة بقدر ما كان نظرة مستقبلية للوطن، أنت وأمثالك بتفكروا بعقلية الاستعمار سعادة الوزير ونحن بنفكر بعقلية من يريد بناء وطن، شفت بنفسك محصلة سياسات الخصخصة في الداخليات.

صمت محمد لبرهة ثم واصل حديثه بعد أن أطلق زفرة حارة مثل حرارة الأجواء التي تسيطر على الوطن الآن:

- تتذكر يوم الحادثة ويوم الاعتقال آخر حاجة كنت متذكرها حديثي لعمار باشري في المعتقل قلت له يومها ح تندمـــوا ليس من أجل قتـلي ولكن من أجل مشروع هش نزفت فيه دمـــاء بريئة.

الفصل الثامن

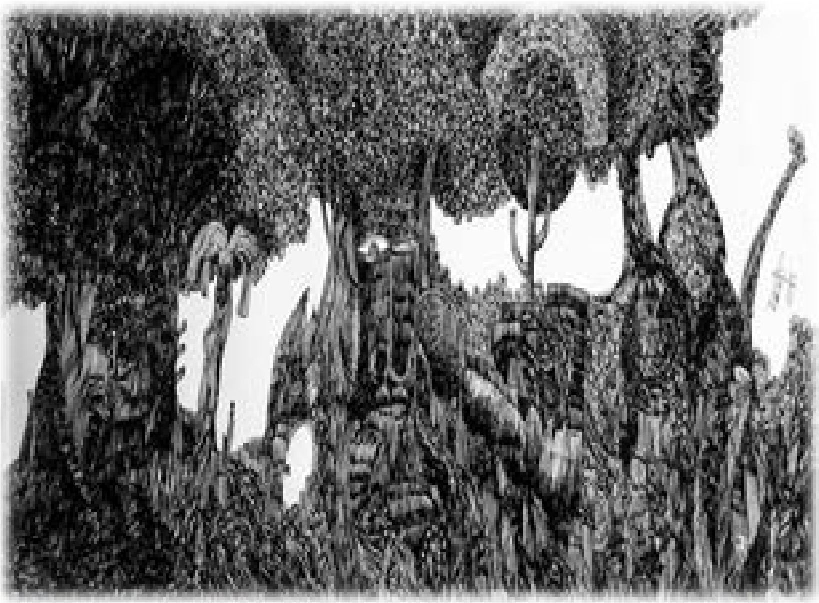

المجنون

بعد قراروزارة التعليم العالي بخصخصةِ السكن والإعاشة للطلاب في عام ٩٨م؛ ابتدع الطلاب المعارضين تكتيك الاقتحام إزاء سياسات الصندوق، يومها تمكن الطلاب من السكن في الداخليات دون دفع أي مبالغ للصندوق، ومن خلال مراقبتنا اللصيقة لتحركات التنظيمات شاهدنا محمد عبدالسلام على رأس اللجان التي عملت على الضغط على إدارة الجامعة والصندوق وحثهما على إصلاح البيئة السكنية، تم تسجيل ورصد كل المشاركين في هذه اللجان فقد كان هناك تضامناً قوياً بين الطلاب السياسيين وغير المنظمين، كانت النتيجة اقتحام الداخليات بالقوة، حيث تم كسر المخازن من قبل الطلاب وأخذ المراتب وكل ما يتعلق بتجهيز الغرف، سبق ذلك تقديم مذكرة للصندوق وإدارة الجامعة بخصوص رسوم السكن، تم تجاهل المذكرة وكنا على يقين بأن الطلاب مهما اتحدوا فلن يفلت زمام الأمر منا، كانت كوادرنا وسطهم تخوّف وتخوّن وتحاول أن تقلل من التفافهم، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فقد اتحد الطلاب واقتحموا الداخليات بعد انتهاء المهلة المقررة في المذكرة المرفوعة لإدارة الجامعة، في يوم الاثنين الثالث من أغسطس كانت المفاجأة لنا أن تحرك الطلاب من النشاط في مسيرة هادرة

إلى مكاتب الصندوق ومخازنه، واقتحم الطلاب المخازن وتم توزيع المراتب والمراوح ولمبات الإضاءة ثم ذهبوا منتصرين إلى غرفهم، لم يكن الأمر بالنسبة لنا بهذه السهولة التي نرى فيها انتصار تقوده التنظيمات المعارضة والعلمانيين، كانت ردة فعلنا عنيفة جداً، وأصبح الأمر شخصياً وثأراً ممن كانوا في مقدمة الاقتحام وبالفعل في مساء نفس اليوم استضاف مكتب مدير الجامعة اجتماعاً عاصفاً، لتحديد كيفية تثبيط المًد العلماني -كما سميناه- في جامعة الخرطوم وكأن اقتحام الداخليات والمخازن من قبل الطلاب تهديداً مباشراً للمشروع، استمر الاجتماع من الساعة السادسة مساءً إلى ما قبل منتصف الليل بقليل، وكان الانفعال بادياً على أغلب المجتمعين، وبالفعل تحركنا من الاجتماع وأجمعنا على تأديب المشاركين والطلاب في الداخليات، وقد كان الاجتماع برئاسة مدير الجامعة.

وفي فجر الثلاثاء الرابع من أغسطس عند الساعة الثالثة صباحاً تم التنسيق مع جهاز الأمن وقوات من الشرطة الشعبية وكوادرنا بالجامعات، وتم جمعهم بأعداد كبيره جداً، ذكرني هذا اليوم بحادثة سابقة كنت يومها في الثانوي وتم تكليفي من قبل أستاذ عبدالشافي بجمع تلاميذ المدرسة والتوجه إلى جامعة الخرطوم، تذكرت التايــة، أظلمت الدنيا في وجهي ولكن التوجيهات كانت صارمة، حاربت الخوف والتردد بداخلي وبالفعل تم التنسيق مع ضابط الأمن عدلان حول طريقة اقتحام الداخليات وضرب الطلاب وانتزاع المراتب والأشياء الأخرى منهم بالقوة، كانت العملية والتي سميت بــــ (بني قينقاع) إشارة إلى غزوة الرسول في تأديب اليهود بالمدينة، كنت على قيادة عناصر من طلاب التنظيم وقمنا

بالإرشاد إلى الطلاب المنظمين الناشطين سياسياً حيث تم جمعهم وضربهم بشده في مكان منعزل بالداخلية، وتم اعتقال محمد عبد السلام ومعه طالبين من فوق سطح داخلية المناهل بعد إيقاظهم بالقوة من نومهم، كنت شاهداً على الاعتقال فقد كنت أكره محمد عبدالسلام بشدة ليس لسبب ولكن اعتقد أنه الخلاف التنظيمي وأيضا شاهندا، يا الله نعم اعتقد هذا هو السبب الرئيسي لذلك، فقد كانت شاهندا دفعة محمد عبدالسلام برغم أنها أكبر سناً منه.

لم أدرِ ما سر إعجابها به فهو لم يكن يملك أي من مقومات الوسامة شيء، كانت تتحدث عنة بانبهار دائماً، كنت لا أطيقها وهي تتكلم عن هذا الشيوعي المأفون بكل ذلك الاحترام، والغريب برغم قناعتي بأن شاهندا كانت شبه مؤمنة بالفكر الجمهوري وما صبأت عن هذا الفكرة الا لخيانة عشيقها، إلا أن الحقيقة التي كانت شاخصة أمامي ولم اتداركها يوماً إلا بعد اقترابي وحبي لشاهندا أن الفكر الجمهوري يتشابه كثيراً مع فكر الديمقراطيين والشيوعيين وبالأخص في حديثهم عن المواطنة والمرأة وفي كثير من الأحيان، كنت اعتقد أن فكر الاخوان الجمهوريين شاطح اكثر من الفكر الشيوعي، تكون لدي كُره عقيم لمحمد عبدالسلام أكثر من حقدي عليه بعد أن شاهدته كادراً نشطا في الصف الاخر المناهض لنا، فقد كان في عُرفنا أن اختلاف الرأي يفسد للود قضية وكنا مختلفين تماماً، ونما هذا الاختلاف بما كانت تُكنه شاهندا لمحمد من احترام، يومها كنت أعلى مكانة تنظيمية من عمار باشري الذي كان يزاحمني في حب شاهندا والتي اختارت في النهاية أن تكون معه، ويبدو أن ما وصل إليّ من حنق

تجاه محمد عبدالسلام قد أصاب أيضا عمار باشري برعونته المعهودة فقد جاء وقت الانتقام، كيف لكادر من الشيوعيين أن يجد تقديراً واحتراماً من أخواتنا، إنه الثأر، تم تكوين وحدة سرية كانت مهمتها الوحيدة هي البطش بكوادر التنظيمات التي شاركت في اقتحام الداخليات، اشرفت بصورة مباشرة على تجميعهم واتصلت بفيصل عدلان ضابط الأمن المسؤول الأول عن الاعتقالات، لم يجمعني أي عمل تنظيمي بعمار باشري من قبل خلاف لقاءات التنظيم العامة، ولكن ذلك اليوم جمعنا الثأر فكان عمار باشري أول الحاضرين فجر الثلاثاء ومعه الطلاب رمضان ضرار ومحمود عبدالباقي ومحمد عبدالرحيم وصالح محمد أحمد، كنت بمكتب مشرف داخلية المنهل الطيب عثمان وكان معنا عدد من حرس الجامعة المنضوين تحت جهاز الأمن وهم علي بهلول و شيبون وفي النهاية لحق بنا عبدالباقي صاحب المطعم والذي كنا نلقبه بالبصاص، باركت قيادة التنظيم في تلك الفترة هذه المجموعة وتم منحنا الضوء الأخضر بالتنفيذ.

توجهنا إلى داخلية المناهل على عربة بوكس وكريسيدا مظللة، كنت ملثم الوجه، تواصلت مع سعد عبدالحميد أحد الطلاب الذين ينتمون إلى التنظيم ولم يكن له حضور جماهيري واضح، عرفت منه مكان محمد عبدالسلام على سطح الداخلية، عبدالباقي البصاص اقترح أن يتم اعتقال السياسيين وبعد ذلك تتم مداهمة الداخليات وقد كان، توجهنا إلى مكان الوصف الذي كان دقيقاً، شيبون يحمل بطارية هووالطيب مشرف الداخلية وخلفهم مباشرة كنت أنا ومعي عمار باشري وفيصل عدلان ضابط الأمن يحمل مسدساً مثل مسدس عبدالشافي الذي قتلت به التاية،

بقية الكوادر كانت مسلحة بالسلاح الأبيض والكلاشنكوف فقد كانت غزوة تأديبية بحق لليهود الخنازير، تم توجيه البطارية على أحد الطلاب صديق محمد عبد السلام وعندما سقط الضوء على وجهه انتفض من نومه فتم ضربه على رأسه بقوة بدبشك الكلاش من قِبل علي بهلول فسقط على الأرض، كان محمد عبدالسلام ينام قرير العين كما نام ابن الخطاب، فقام عمار باشري بركله على بطنه بقوة، تكوم على نفسه من قوة الضربة، انهال عليه السيخ من كل صوب، حاول طالب من أصدقائه حمايته من الضربات بأن ألقى بنفسه عليه، استيقظ عدد من الطلاب بسبب الضرب والهرج الذي كان على السطح، رفع فيصل عدلان سلاحه عالياً وأطلق أعيرة نارية في الهواء شقت سكون الليل وعتمته، وعلى صدى تلك الطلقات تم اقتحام الداخليات من كل صوب، تدفق عساكر الشرطة والأمن وخلفهم كانت كوادر التنظيم مثل سيل جارف، أُطلق «البمبان» الغاز المسيل للدموع داخل الغرف، وتم انتظار الطلاب على الممرات بالسياط والسيخ والطيقان والعصي والجنازير، كانت ليلة أقرب إلى الحجيم، صيحات المجاهدين في قلب جامعة الخرطوم:

-الليلة يوم الرجال الليلة يوم الرجال

جيبووووا حي ....

جيبوووووو احي................

تم نزع المراتب والمراوح من الغرف نزعاً، كل ما تحصل علية الطلاب من مخازن الصندوق تم أخذه بل أكثر، فقد تم

الاستيلاء على أمتعة الطلاب وبعض الأشياء الخاصة بهم، نعم اختلط الحابل بالنابل وتم جر محمد عبدالسلام بواسطة عمار باشري من على سطح الداخلية بعد أن ربط رجله اليمنى بجنزير وسحبه، وعند كل محاولة للتخلص كانت الأيدي خلفه تنزل عليه ضرباً مبرحاً بالعصي والسيخ والجنازير. تفنن رمضان ضرار ومحمود عبدالباقي ومحمد عبدالرحيم وصالح محمد في ضرب وعرقلة أي محاولة للدفاع من قِبل محمد عبدالسلام، لم أشاهد مثل هذا من قبل، كنت خلفهم رفضت المشاركة، كانت صورة التاية ودكتور علي فضل حاجزاً لي من أن أقع في نفس الخطأ مرة أخرى، الخوف من الظلام الخوف من نفسي التي لم تركع لله مطمئنة، يااا اللهي كيف يتقبل الله صلاتي؟ لقد قالها محمد عبدالسلام رسول الطلاب إلى رب العالمين: «كيف أُقتل في مرتبة»، فنزل الوحي ترانيم تُنشد في نصوص محفوظة، الآن سادتي نقص عليكم أسوأ القصص في حكم هذه البلاد وأنتم كنتم من قبلنا فرحين، نزل عمار باشري درجات الداخلية ساحباً محمد من رجله مثل خروف نفق، تم جره جراً على الدرج وخلفه البقية تنهال بقوة على الفتى الأسمر بالعصي والجنازير والسيخ، تم ضرب أصدقاء محمد عبدالسلام وآخذهم كالنعاج بعد أن فقدوا الوعي، عندما وصلنا إلى الخارج كان عمار باشري في أقصي مراحل الانفعال، وقف ضابط الأمن شاهراً سلاحه وأطلقت المجموعة التي معنا رصاص الكلاشنكوف بصورة عشوائية لمزيد من تخويف الطلاب، كانت الظلمة تغطي الأعين والقلوب معتمة بالثأر، تشربت مرارة الحقد منذ الأزل، تم رفع محمد عبدالسلام من رجليه ورميه رمياً على ظهر البوكسي، لم يحرك ساكناً ظل

صامتاً مثل يسوع يحمل صليب الوطن ذاهباً إلى حتفه من أجل محو ذنوب الآخرين، تم رمي الاثنين الآخرين بنفس الطريقة، وعلى حواف صندوق البوكسي تراص عدد من أفراد المجموعة، شاهرين أسلحتهم النارية خوفاً من الجرحى المثقلين بامتحان الرب لأجل وطن يسع الجميع، تحركنا سريعاً من أرض المعركة توجهنا للخرطوم ٢ هناك حيث ينتظرنا يوم حافل.

عند مدخل مكاتب الأمن بالخرطوم ٢ وقفنا، لا أدري لماذا ترجلت من السيارة وهرولت إلى حيث يرقد محمد عبدالسلام ورفاقه من الحواريين، هل لأطمئن عليهم أم لأشفي غليلي من وجوههم المضجرة بالدماء؟ و هناك رأيتهم بأم عيني ما زالوا قابضين على حياتهم، محمد عبدالسلام يتنفس بصعوبة بالغة، تحركت العربة إلى داخل بيت الأشباح، يتم سحب المعتقلين جراً من الصندوق الخلفي للعربة حتى اصطدمت أجسادهم بالأرض التي تخضبت بلون الحناء الأحمر، تشربت أرض المعتقل بالدماء فنبتت أزهار تغني للوطن، الأمر الذي زاد من حنق الجلاد وسخطه، فبدأت حفلة جديدة من الضرب، شرعت الاسماء السابقة في مواصلة الضرب على محمد عبدالسلام ورفيقيه، عمار باشري و رمضان موسى ضرار ومحمد عبدالرحيم تقاسموا المعتقلين الثلاثة سحلاً على الأرض وسحباً وشتماً بأقبح الألفاظ العرقية، نظر إليّ عمار باشري وكنت هنالك في ركن قصي أتعبد للشيطان، وكانت تلك طقوس العبادة، لم أكن اسمع التكبير ولا التهليل باسم الله الذي في السماء، كريشنا على الأرض لا يرضى هذا فما بالك بمن هو على العرش استوى، عندما وصلنا إلى داخل المكاتب كان جسد الفتي الأسمر كمن أخرج من تحت سيارة تم دهسها، فلم

يكن في جسده حيز إلا وفيه ضربة سيخة أو طعنة خنجر، كيف تسنى له أن يتحمل كل هذا؟ لقد تم السحب والسحل من على سطح الداخلية لأربعة طوابق مع ضرب متواصل، كنت أشاهد رأسه يرتطم بالدرج، إنه لحقد دفين، تكالبت الضباع على الأسد الجريح، صعدت روح محمد عبدالسلام إلى أعلى بدخان كثيف له رائحة مثل رائحة طينة أرض الوطن، ارتجت السماء وفتحت أبوابها، ظهر عرش كبير بين أجنحة الملائكة تربعت عليه التاية وحولها ترفرف عصافير بأجنحة ذات ألوان ثلاثة «أصفر وأزرق وأخضر»، وكل لون خُط عليه اسم ...بشير، سليم، طارق، أعلى العرش وبجانب التاية تتضح صورة دكتور علي فضل وعلى كل ملك من الملائكة كانت تتجسد روح شهيد من شهداء الوطن: القرشي/ مجدي محجوب/ جيرجس/ الشريف حسب الله/ ميرغني النعمان، حتي ازدحمت السماء بالملائكة فنزلت غيثاً على أرض البؤس والجفاف واعدة بالخير وإن طال الأمد بصبر جميل.

لم يستطع الوزير أن يحتمل كل تلك الذكريات بعد أن خطها دماً رسالة اعتذار لهيفاء مرسلة على الإيميل، تنحى جانباً على شارع الجامعة، نزل من على سيارته الفارهة هارباً من وسوسة شيطانه الداخلي، نظر خلفه فوجد التاية وبشير وعلي فضل يحملون أعلاماً خضراء وبيضاء يحاولون اللحاق به، هرول منهم في اتجاه آخر، توقفت السيارات وتعالت صافرات التنبيه، خرجت الوجوه شاحبة معبرة عن حنق عظيم:

- **إنت مجنون؟!!**

ارتفعت أبواق التنبيه من السيارات وهي ترى رجلاً خمسينياً

يهرول على شارع الإسفلت يخلع ما عليه من ملابس ويصدح بصوتٍ عالٍ:

- فليعد للدين مجده .... أو ترق منا الدماء...... أو ترق منهم دماء... أو ترق كل الدماء....

يأخذ حجارة من على الطريق يرمي بها لافتات المشروع، وصور الرئيس، ينظر إلى الناحية الأخرى، كانت مجموعة أخرى يراها شاخصة أمامه: فضل المرجي / علي عبدالفتاح / الطيب سيخة / أبو دجانة / عمار باشري / فيصل حسن عمر / نافع مجذوب الخليفة / شيخ علي / العراب المائع ...والرقاص

تحاول اللحاق به رافعة أعلام سوداء وتحمل في يدها خناجر تعكس أشعة الشمس، ارتجفت مفاصل الوزير المجاهد حاول الاختباء، تم إمساكه من قبل بعض المارة وهو يصرخ:

- هذي مبادئ دعوة قدسية كتب الخلود لها مدى الأزمان

تلاشت صور الوجود، إنها خيبات اللحظات الأخيرة، الانتحار جنوناً هو تسليم ورقة المشروع فارغة بعد ثلاثين عاماً من الإحباط والنفاق، الآن يهيلون التراب على قبور الشهداء وينثرون عليها فتات الخبز، فتتهافت العصافير عليها وطن دون وجيع.

تمت

صلالة ٢٠١٨